المعجزة الكبرى

أصحاب الفيل

بين القرآن والتاريخ

أحمد ربيع عبد المنعم

دار مشارق

أصحاب الفيل

بين القرآن والتاريخ

تأليف

أحمد ربيع عبد المنعم

الناشر

دار مشارق

بطاقة فهرسة

فهرسه دار الكتب الوثائق القومية
أصحاب الفيل بين القرآن والتاريخ/ أحمد ربيع عبد المنعم - القاهرة : دار مشارق للنشر والتوزيع ٢٠٠٧
ص ، ١٧ × ٢٤سم
فى راس العنوان المعجزة الكبرى
١ - قصص القرآن
أ - العنوان:
رقم الإيداع:٢٤١٩٨ / ٢٠٠٧
٢٢٩,٥

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبية - فيصل
ت: ٣٧٢٤١٨٠٣ - ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦ - ٠١٠٠٥٩٣٣١٧
إيميل: mshareq@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.

[سورج البروج ١ - ١٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل ١ - ٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش ١ - ٤]

المقــدمة

الحمـد لله وحده والصلاة والسـلام على محـمد رسوله وعـبده، أرسله جل شأنه، لتنزيه اسمه، وإنزار خلقه، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد..،

فهذا بحـمد الله الجزء الثانى من سلسلة «من قـصص القرآن» وفى هذا الجزء نتناول بالشرح والتحليل قصة أصـحاب الإخدود والذين ذُكروا فى سورة البروج ومن هم؟ وفى أى عصر كانوا؟ وماذا حدث لهم؟

ثم نقوم بشـرح نتائج هذه الحـادثة وهو احتلال الأحـباش لليـمن ثم دعوتهم للعرب إلى الديانة الـنصرانية، ثم يأتى منهم رجل اسـمه «إبرهة الأشرم» فـيبنى كنيسة من ذهب ويدعى العرب إلى الحج إليها بدلاً من الكعبة، وسيرفض العرب ذلك ويغضب إبرهة غضباً شديداً فيجمع جيشه ويذهب إلى مكة محاولاً هدمها ولكن يحـدث شيء غريب يرد كيـد إبرهة فى صدره، وينااله سـوء العاقـبة. . ، وهذه القصة هى قصة «أصحاب الفيل».

وسنقوم بربط القصة من الناحية التـاريخية والآيات القرآنية ومتى كانت؟ وهل وافقت مولد الرسول الكريم ﷺ؟

أى هل كانت ٥٧٠م؟ أم قبل ميلاد الرسول ﷺ بأكثر من ٤٠ سنة كما يقول بعض المؤرخين؟ وهل قال القرآن إن الرسول ﷺ ولد عام الفيل أم لا؟

كل هذا سنناقشه بموضوعية تامة علاوة على الرد على الزعم القائل بأن جنود إبرهة ماتوا بوباء - مرض - وليس بالحجارة التى أرسلهـا عليهم كما ذكرالقرآن؟ وهل حقاً قال عبدالمطلب جد الرسـول ﷺ لإبرهة «أما البيت فله رب يحميه»؟!

وإذا كان قد قالها فمن أين عرف الله؟ وما كان دينه وقتئذ؟

ولماذا أطلق القـرآن على أصحـاب الأخدود مـصطلح «المؤمنون»؟ فهل كـانوا مؤمنين؟ وهل كانوا نصارى؟ وإذا كانوا نصارى فهل بذلك يقر القرآن النصرانية؟ كل هذا سنناقشه بإذن الله مـستبعدين كعادتنا الإسرائـيليات وأدعو الله تعالى أن يوفـقنى إلى الصـواب، وحـسن الرشـاد وأن يجـعله فى مـيـزان حـسناتى يوم الحساب.

... اللهم آمين.

أحمد ربيع عبد المنعم

الفصل الأول

تنبيه..

فى الجزء السابق من هذه السلسلة قمنا بتقديم دراسة مختصرة عن القصة ومفهومها فى القرآن الكريم، وفى هذا الجزء سنقدم دراسة مختصرة أيضاً عن الأمثال والتشبيه وأسلوب القسم فى القرآن الكريم، وليس هذا بخروج عن الموضوع المقرر لهذا البحث ولكنه مرتبط بالموضوع؟

فمثلاً فى الجزء السابق كان موضوع البحث قصة سليمان النبى عليه السلام مع ملكة سبأ وما رأى التاريخ فى هذه القصة؟ وهى يتوافق التاريخ مع ما ذكره القرآن الكريم تجاه سليمان؟

فلذلك تحدثنا عن مفهوم القصة فى القرآن؟ وأوضحنا أن القرآن ليس بكتاب تاريخ فلم يذكر تاريخا محدداً البتة، وفى هذا الجزء موضوع البحث عن قصة أصحاب الفيل وأصحاب الأخدود.

وعندما ذكر الله أصحاب الأخدود أقسم بالنجوم، وبيوم القيامة، وبالشاهد والمشهود. . فكان لا بد أن نذكر ما هو القسم فى القرآن؟ وهل يليق بجلال الله أن يُقسم؟ لكى يُصدق؟!!

ومن قصة أصحاب الفيل ذكرهم القرآن عن طريق المثل والعبرة فكان لا بد أن نوضح ما هو المثل فى القرآن الكريم؟ وكيف يضرب الله الأمثال؟ وما الفائدة منها؟

وأردت أن أعم الفائدة للقارئ الكريم وأربط بين آيات القرآن وعلوم القرآن حتى يستزيد القارئ من فيض معارف القرآن ولكى لا يقرأ قصة فحسب بل يفهم ما الذى تشكله هذه القصة من أهمية وبلاغة مُعجزة؟

١ - تعريف المثل ومفهومه أدباً واصطلاحاً:

الأمثال : جمع مثل والمثل والمثيل: كالمشبه والمشبه به لفظاً ومعنى.

والمثل فى الأدب: قول محكى سائر بقصد تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله[١].

أى يشبه مضربه بمورده مثل «رب رمية من غير رام» أى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ؟.. ومثل أصحاب الفيل وما حدث لهم «فجعلهم كعصف مأكول» مثلهم : شبههم بالعصف المأكول ويُطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن وبهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات «مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن» أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها؟.. وما حدث لأصحاب الفيل أيضاً فإنه شىء عجيب.

وأشار الإمام المفسر الزمخشرى أيضاً إلى هذا المعنى للمثل «وصف الحال والقصة العجيبة» فقال «والمثل فى أصل كلامهم - العرب - بمعنى المثل والنظير ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتيسير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه.. وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة»[٢].

٢ - أقسام الأمثال فى القرآن :

قسّم العلماء الأمثال فى القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام[٣] :

١ - أمثال صريحة واضحة.

---

(١) انظر كتاب بلاغة القرآن للأستاذ محمدخضر حسين ص ٢٦، مباحث فى علوم القرآن (مناع القطان).

(٢) انظر كتاب الكشاف للزمخشرى ، مباحث فى علوم القرآن ص٢٥١.

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص ٢٥٤.

٢ - أمثال كامنة خفية.

٣ - أمثال مرسلة..

وتفصيل ذلك ما يلى :

أولاً : الأمثال الصريحة : وهى ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل عل التشبيه وهى كثيرة فى القرآن مثل قوله تعالى فى المنافقين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾.

ففى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلاً ناريا ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نارًا﴾ من مادة الضوء؟ ومثلاً مائيا ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّماءِ ﴾ لما فى الماء من مادة الحياة.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ ومثل أيضاً ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾.

ثانياً: الأمثال الكامنة: وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة فى إيجاز يكون لها أثرها إذا نقلت إلى ما يشبهها ويمثلون لهذا النوع بأمثلة مثل:

قوله تعالى فى بقرة بنى إسرائيل ﴿ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾،

وقوله فى النفقة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾،

قوله فى الصلاة: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

ومثل ما ذكر عن أصحاب الفيل موضوع هذا البحث

﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل:] فالله هنا شبه الطير الآتى عليهم بجيوش منظمة كجماعات متتالية، شبه الحصى الصغير بالحجارة ووجه الشبه هنا التأثير فهى صغيرة الحجم ولكنها كان لها أثر الحجارة الضخمة وشبههم بالعصف المأكول.

ثالثاً: المثل المرسل: وهى جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه أى بغير مُشبه به...، فتجرى مجرى الأمثال مثل...، ﴿ الآن حصحص الحق﴾، ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾، ﴿ لكل نبأ مستقر﴾، ﴿أليس الصبح بقريب﴾، ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾.

٣ - فوائد الأمثال القرآنية:

يقول تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ [الزمر: ٢٧].

وعن رسول الله ﷺ «إن الله أنزل القرآن آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً» [رواه الترمذى].

إن للأمثال فوائد شتى ولكن من يفهمها؟

أولو الألباب والذين يتفكرون ويتأملون فى كتاب الله وآياته على العكس من الذين يمرون عليها مرور الكرام.

وضرب الله فى القرآن الأمثلة حتى نفهمه وندرك رحمته وقدرته وعلمه..

نذكر منها:

١ - تُضرب الأمثال للترغيب فى المُمثل فيذكر ما تشتهيه النفس وتتمناه كحال من ينفق فى سبيل الله [البقرة: ٢٦١].

وأيضاً الأمثال التى تُضرب عن الجنة وما تحتويه من نعيم فيضرب الله لنا ما فى الجنة مُمثلاً به لما فى أيدينا وما نراهُ فى الحياة الدنيا وأيضاً تُضرب الأمثال للترهيب والتنفير حيث يكون المُمثل به ما تكرهه النفس وتشمئز منه وتخافه مثل النهى عن الغيبة ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾ فقد مثل الله الغيبة هنا بشئ مكروه للنفس وهو الأكل من لحم ميتة.

٢ - وأيضاً تُضرب الأمثال للتقريب. . ، أى إبراز الشئ فى شكل معقول ومُدرك، فالله عندما يُخاطبنا بشئ لا ندركه ولا نفهمه يُمثله لنا بشئ ندركه ونفهمه ونلمسه ونحسه كالأمثال التى عن الجنة ونعيمها، وعن النار وعذابها وعن حوار سليمان عليه السلام مع النملة والهدهد فمثله الله لنا بخطاب البشر.

٣ - تجمع الأمثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة.

٤ - وتُستخدم الأمثال أيضاً للمدح عن طريق الوصف والتمثيل كوصف الله للصحابة وللرسول ﷺ فى التوارة والإنجيل «ذلك مثلهم فى التوارة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه. . .».

٥ - وأيضاً فى الذم كوصف اليهود الذين لا يعلمون حقيقة كتبهم المقدسة ولا يدرسونها بحق فيعلمون ما بها «مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا».

٦ - والأمثال أوقع فى النفس وأقرب إلى العقل وأبلغ فى الوعظ وأقوى فى الإقناع والعبرة. . ، وقد أكثر الله فى القرآن أمثله للوعظ والعبرة «من كل مثل لعلهم يتذكرون».

وما حدث لأصحاب الفيل من تنكيل «ألـم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجـعل كيدهـم فى تضليل وأرسل عليهم طيـراً أبابيل ترمـيهم بحـجارة من سجيل فجعلهم كعصفٍ مأكول».

تنبيه:

اعتـاد بعض الناس أن يضـرب آيات القرآن الكريم كـأمثـال فى حيـاتهم فى مواقف شتى. ،

وأنا لست ضـد هذا المبدأ ولكن يـجب الاقتـباس من آيات القـرآن وضربهـا كأمثال أو الاستشهاد بها يجب أن يكون بشروط منها:

١ - أن لا ينتزع النص من سياقه فلابد عليـه أن يذكر سياق الآية والسابق لها واللاحق بعدها أيضا.

٢ - يجب العلم بسبب النزول حتى يُعلم مـدى تطابق الآية القرآنية مع حال الاستشهاد بها.

٣ - يجب ألاّ تُقال الآيات القرآنية فى أى موقف إلاّ إذا كانت تتوافق مع هذا الموقف وكتاب الله به مثل من كل شئ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

وهذا يستـدّعى بالضرورة العلم بكـتاب الله معـرفة جيـدة. . ، ومن لا يعلم فليصمت ويبتعد عن هذا الأمر.

٤ - تعريف القسم فى القرآن وصيغته»:

يختلف الاستـعداد النفسة عند كل فرد عن غيـرة فى التصديق والتكذيب عند سماع شئ.

والقسم: بفتح السين بمعنى الحلف واليمـين والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل أُقسم أو أحلف مـتعدياً - مقروناً - بالباء فى المُقـسم به مثل أُقسم بالله، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

وأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١ - الفعل الذى يقترن بالله كالمثال السابق.

٢ - والمقسم به مثل الله، صفات الله، أو أى شئ آخر.

٣ - المقُسم عليه.

وللقسم صيغ أخرى مثل حذف فعل القسم مثل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾، ﴿والضحى﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾...،

والقسم واليمين بمعنى واحد ويُستخدم عند البشر بالامتناع عن شئ أو الإقدام على فعل شئ بربط النفس عند الحالف.

وللقسم حدود عند البشر فيأمرنا الله أن نُقسم بالله ويجوز القسم بصفات الله وإلاّ الصمت أفضل «فليحلف بالله أو ليصمت»، أما الله فيحلف ويُقسم بأى شئ يريده لأنه هو الخالق وقسمه لم يكن للربط بمعنى الامتناع عن شىء أو الإقبال على شئ بالضرورة لأن الله منزه عن ربط نفسه فليس فوقه ذو سلطان.

٥ - المقسم به فى القرآن:

قلنا إن الله تعالى يقسم بنفسه المقدسة وصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ويُقسم أيضاً ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم سلطانه وآياته ولم يستحى الله بالقسم بأدنى الأشياء لأنها مهما كانت صغيرة القيمة فى أعيننا فلن نقدر على خلقها أو صنع مثلها.

وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى سبع مواضع:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾. . . ،

وأما باقى القسم فى القرآن فإنه بمخلوقاته سبحانه وتعالى مثل ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

٦ - أنواع القسم فى القرآن:

١ - القسم إما ظاهر: وهو ما صرح فيه بفعل القسم وصرح فيه بالمقسم به ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغالب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء[1].

وقد أدخلت «لا» النافية على فعل القسم فى بعض المواضع كقوله ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

٢ - والقسم المضمر هو ما لم يُصرح فيه بالقسم ولا بالمُقسم به وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التى تدخل على جواب القسم كقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أى والله لتبلون.

٧- الفرق بين القسم والشرط:

هناك فرق بين القسم والشرط ولكنهما يجتمعان - القسم والشرط - فيدخل

(١) انظر كتاب مباحث فى علوم القرآنص ٢٦٢.

كل منهما على الآخر فيكون الجواب للمتقدم منها ويغنى عن جواب الآخر.

والشرط هو أقرب العقد، أو العهد بين طرفين ومن خلالهما يتم الانعقاد مثل ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

أما القسم فيكون من طرف واحد فقط ويتم الانعقاد من خلاله وحده.

وقد ضرب الله فى القرآن أمثلة للشرط المشروط بوعيد أو وعد مثل...، ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨].

الفصل الثانى
احتلال الأحباش لليمن ٥٢٥م

فى هذا الفصل نقدم دراسة تاريخية عن إحدى ممالك اليمن العظيمة وهى مملكة حمير واعتناق بعض ملوكها للديانة اليهودية وفى عهد أحدهم تم إجبار الجميع فى المملكة على اعتناق الدين اليهودى ولكن.

- هل قبل الجميع اعتناق الديانة اليهودية؟
- ومن رفض ماذا حدث له؟
- وما نتائج هذا الرفض؟
- وما هى الديانات الأخرى الموجودة وقتئذ؟

ا - مملكة حمير 115 - 525م:

قامت هذه المملكة فى أول الأمر فى منطقة قتبان من بلاد اليمن ما بين مملكة سبأ والبحر الأحمر ثم تغلبو على السبئيين وضموا دولتهم إليهم وورثوا ممتلكاتهم واتخذ الحميريون ريدان «ظفار» الأن عاصمة لهم وتختلف مملكة حمير عن مملكة سبأ فى إهتمامهم بالفتوحات فقد عمل ملوكها على توسيع رقعة دولتهم فضموا إليهم بعض البلدان المجاورة ودخلوا بسبب ذلك حروب مع الفرس والأحباش والروم ولم يعملوا على اتساع دولتهم فقط بل عملوا على توحيد دينهم مثل ما فعله يوسف ذو النواس الملك اليهودى «٥١٥ - ٥٢٥»م وكان بسبب فعلته التى سوف نناقشها قريباً أن دخل فى حروب مع الأحباش والروم انتهت باحتلال الأحباش لليمن وعملوا على نشر المسيحية فيها وفى الجزيرة العربية.

ولقد ظلت هذه المملكة قوية بسبب اتساع رقعة أرضها الزراعية وخصوبتها وتنوع محاصيلها وبسبب مكاسب التجارة العالمية لكن هذه الدولة سقطت.

٢ - احتلال الأحباش لليمن:

سنناقش الآن لماذا أسقطت مملكة حمير؟

عندما قام الملك اليهودى يوسف ذو نواس باضطهاد نصارى نجران واحرقهم بالنار فى أواخر حكمه لأنهم رفضوا الدخول فى اليهودية وهم الذى ذكرهم القرآن فى سورة البروج بأصحاب الأخدود[١] فقد تدخل الامبراطور جستينان لنجدة نصارى نجران فكتب إلى النجاشى[٢] ملك الحبشة يأمره بغزو هذه البلاد ولقد نجح الأحباش فى غزوهم دولة حمير وإسقاطها سنة ٥٢٥م إلى جانب الانقلابات والحروب الأهلية التى جعلتها عرضة للأجانب حتى قضى على استقلالها فابتداء الروم فى احتلال عدن وبمعونتهم احتل الأحباش اليمن لأول مرة سنة ٣٤٠م مستغلين التنافس بين قبيلتى حمير وهمدان واستمر احتلالهم إلى سنة ٣٧٨م ثم نالت اليمن استقلالها ولكن بدأت تقع الثلامات فى سد سأرب[٣].

حتى وقع السيل العظيم الذى ذكره القرآن بسيل العرم فى سنة ٤٥٠م وكانت حادثة كبرى أدت إلى خراب العمران وتشتت الشعوب وفى سنة ٥٧٣م قاد ذو النواس حملة منكرة على المسيحيين من أهل نجران وحاول صرفهم عن المسيحية ولما أبوا خدّ لهم الأخدود وألقاهم فى النيران وهذا الذى أشار إليه القرآن فى

---

(١) هذا هو الرأى الشائع عند كثير من المفسرين وسنرى هل هذا حقاً أم لا؟!

(٢) ليس هذا النجاشي الذي كان في عهد الرسول ﷺ ولكن مصطلح النجاشي يعني ملك أو حاكم.

(٣) انظر كتاب الرحيق المختوم لـ صفي الرحمن ص ٣٢.

سورة البروج[١] وكان هذا الحادث هو السبب فى توسع نشر النصرانية تحت قيادة أباطرة الرومان فى بلاد العرب فقد حرضوا الأحباش وهيأوا لهم الأسطول البحرى الضخم فنزل سبعون ألف جندي من الحبشة واحتلوا اليمن مرة أخرى بقيادة ارياط سنة ٥٢٥م وظل ارياط كماً كان من قبل ملك الحبشة حتى قتله أبرهة بن الصباح الأشرم أحد قواد جيشه سنة ٥٤٩م ونصب نفسه حاكما على اليمن بعد أن استرضى ملك الحبشة وأرضاه وأبرهة هذا هو الذى عدّ جيوشه لمحاولة هدم الكعبة.

٣ - الاكتشافات الحديثة تؤكد صدق القرآن:

أخبرنا القرآن قصة أصحاب الأخدود وما فعله يوسف ذو النواس بنصارى نجران.

- هل هذا كلام حقاً؟

-وما رأى الاكتشافات الأثرية الحديثة؟

جاءت الاكتشافات الجديدة لأصحاب الأخدود فى جنوب المملكة العربية السعودية ومعها بعض أسرار مدينة أحرق ملكها سكانها قبل أكثر من ١٥٠٠ عام عقابا لهم على اعتناق الدين المسيحى «نجران» ولم يعلم عنهم أحد حتى ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ومع هذا فإن أمام خبراء الآثار كما يقول مدير الآثار فى المنطقة الكثير من الوقت إلى ٣٠ عاما ليكتشفوا أسرارهم كاملة ورغم مرور آلاف السنيين مازالت العظام الهشة السوداء والرماد الكثيفة شاهدة على الحريق الهائل الذى أصاب مدينة الأخدود فى عام ٥٢٥م وللآن تروى تلك الأطلال والمبانى قصة أصحاب الأخدود الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم.

(١) هذا هو الرأي الشائع كما ذكرت وسنرى هل هذا حقاً أم لا.

«رقمـات» أو مدينة الأخدود الأثـارية والتى تقع على مساحـة ٥كيلو مـترات مـربعة على الحـزام الجنوبى من وادى نجـران جنوب السعـودية مـازال يكتنفهـا الغمـوض والأسرار رغم عـمليات التنقـيب والحفـر المتواصل لمدة عـشر سنوات متتالية.

ويشير صـالح آل مريح مدير إدارة الآثار بمنطقة نجـران إلى أن منطقة الأخدود الآثارية تحـتاج إلى مـا يقرب من ٣٠ سـنة لمعرفـة جمـيع أسرارها وأن مـا تم اكتشافه إلى الآن لا يمثل جزءاً من أثارها.

منذ تم التنقيب فى منطقـة الأخدود الآثارية سنة ١٩٩٧م اكتشـفنا العديد من الآثاريات والأوانى الفخارية وأدوات الزينة والعملات وشواهد القبور التى تخص المنطقة الإسلاميـة مشيراً إلى احتواء المدينة الآثارية على منطقة إسـلامية بها جزء من القبور الإسلامـية المدون عليها اسم صاحبـها وتاريخ وفاته وأوضح آل مريح أنه تم أيضاً اكـتشاف أقدم مـسجد بنى فى منطقة نجـران يعود إلى سنة ١٠٠ هـ وهو يقع فى الجزء الشمالى من الأخدود.

وعن الخنادق التى اشتعلت بـها النار والتى أشار إليها القـرآن الكريم فى قصة أصحاب الأخدود يقـول آل مريح تسمية الأخدود بذلك الاسم نسـبة إلى الحفرة التى أمر الملك الحميـرى بحفرها وتجميع الحطب بها وأحرق من اعتنق المـسيحية التى كـانت ديانة جديدة فى المنطقـة فى ذلك الوقت لذلك مازالت أثـار الحريق بادية فى أجزاء المدينة وعلى جدرانها ومبـانيها ونحن الآن «الكلام لصالح مريح» نحاول أن نكتشف الحفـرة التى تم فيها الحرق عبر عـمليات التنقيب والثابت أن الحريق كان هائلاً وقويا جداً حيث إنه أشـعل المدينة بأكملها ومازال رماد الحريق

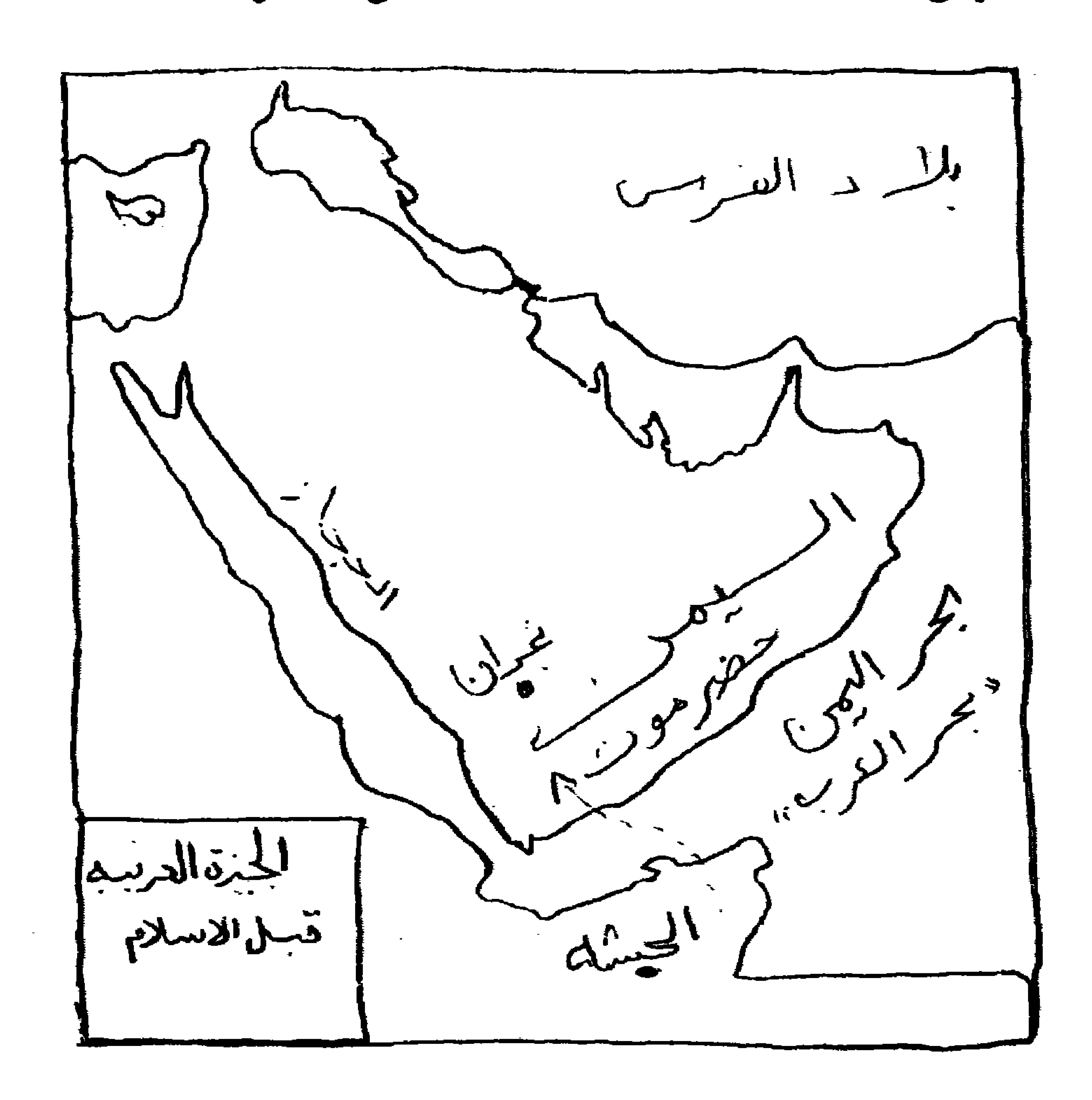
موجوداً إلى الآن بالإضافة إلى عظام البشر والحيوانات التى أحرقت وأبدى آل مريح أيضا دهشة من بقاء المدينة والمبانى كما هى منذ حريقها فى النصف الأول من الميلاد وقال لقد اكتشفت أغرب سر خلال عملى والذى قارب العشرين عاماً ويتمثل فى بقاء منطقة الأخدود الآثارية كما هى فعظام الكائنات التى أحرقت من بشر وحيوانات لم نجدها فى مدافن وبقيت كما هى مرعينا ذلك ولم نضعها فى مدافن بعدما أخذنا منها عينات بتحليلها لاكتشاف عمرها الزمنى ولقد أجرينا منذ فتره مبحسات اختياريه أوضحت لنا أن الأخدود ممتد إلى الألف الأول قبل الميلاد واستمر إلى الألف الأول الميلادى وبعدها حدث الحريق وحادثة الأخدود كما عثرنا على نقوش بالخيط المسند وهذا الخط له فترة معينة فى التاريخ فهو يعاصر ممالك جنوب الجزيرة العربية.

وعن جنس البشر الذين كانوا يعيشون هناك هم من جنوب الجزيرة العربية ولا تختلف ألوانهم ولا بشرتهم عن القبائل الموجودة حالياً والساكنة فى المنطقة وذلك من خلال نقوش الأرجل والكفوف التى وجدناها ليديهم فلم نجد فرقاً بين الإنسان القاطن فى الأخدود فى تلك الفترة وبين الإنسان الحالى.

وهذا ينفى الزعم بأنهم كانوا عمالقة أو ضخام البنية لكنهم كانوا أشداء وأقوياء.

كما وجدنا بعض الحلى واعتمادهم على الذهب والفضة فى الزينة وحول ما تحتويه منطقة الأخدود أنها عبارة عن مبانى متهدمة باقى منها الأساس والجدران وبعض القطع الحجرية الضخمة كمنطقة السوق التجارى وأيضاً هناك بعض

الكتابات والنقوش على الصخر بالخط المسند الذى كان يستخدمه عرب الجنوب وينتشر فى المدينة الفخار الذى كان الأداه المستخدمة فى ذلك الوقت[1].



وها هى خريطة توضح موقع نجران التى تم فيها الحريق ونزول الأحباش إلى اليمن واحتلالهم لها..

---

(١) http: llabeer mahmoud. jeeran. com/page 2/192.
http: //www. m5zn. com /uplouds/gza19a22 G1.jpg

الفصل الثالث

هذا الفصل يُعتبر تمهيداً للفصل القادم والذى يدور حول سؤال «من هم أصحاب الأخدود»؟

وهل هم نصارى نجران؟ أم غيرهم؟ كما سنرى بإذن الله.

ولكى نجيب على سؤال من هم أصحاب الأخدود؟ يجب أن نعلم هل ذكر القرآن الكريم اسمهم؟ أو المكان الذى أُحرقوا فيه؟ أو أى إشارة إليهم تدل عليهم؟ وما هو أسلوب القرآن فى سرد قصص الأمم السابقة؟

وهل ما جاء فى سورة البروج هو حكاية عن أمم سابقة - ماضى - أم إقرار واقع مُعاصر للرسول ﷺ؟ أم نبوءه عن حادث مستقبلى؟!

وبادئ ذى بدء يجب أن نعلم أن القرآن الكريم ليس بكتاب تاريخ أى لم يذكر تاريخا مُحددا؟ أو مكان؟ أو زمان؟ أو أسماء أمم؟ وذلك فى الغالب..!!

وسنرى فى هذا الفصل أمثله تبرهن على ذلك من القرآن نفسه حيث إن القرآن ذكر أمثلة لقصص أمم سابقة ولم يذكر فى أى زمن كانوا؟ أو من هم؟ ولكن القرآن ذكرهم من باب العبرة والعظة، ولأن القرآن لم يذكر شيئا إلاّ إذا كان فيه فائدة.

١ - القريه التى أرسل إليها المرسلون:

ضرب الله لنا مثلاً لقرية لا تعرف الله فأرسل إليها ثلاثة رسل ليهدوهم إلى الله وليعرفوا طريقه، ولكنهم رفضوا طريق الله فأنزل الله عليهم العذاب..؟

ولم يذكر الله لنا اسم هذه القرية؟، ولا من هم الذين كانوا فيها؟ ولا فى أى زمان كانوا؟ ولا نوع العذاب الذى حلّ بهم؟!

لأن ذلك كله لا يفيدنا ولم يكن الهدف من ذكر القصه ولكن الهدف الوحيد لها هو إتخاذ العبره والعظه منهم حتى لا يُصيبنا ما أصابهم؟

يقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[يس: ١٣ - ٣٠].

والواضح من الآيات السابقه أن الله أرسل ثلاثة رسل إلى قرية لم يذكر اسمها، ولا فى أى زمن كانت؟ ولا كم عددهم؟

ولكنهم رفضوا دعوه الرسل.

ولكن رجل منهم - من أهل القرية - سمع لقول الرسل وآمن بما يدعون إليه؟ اشترك معهم فى دعوه قومه إلى الله تعالى وإلى نبذ عبادة الأصنام، ولكنهم رفضوا أيضاً.

ومات هذا الرجل الصالح ودخل الجنة، ثم أنزل الله عذابه على هذه القرية.

هذا كل ما ذُكر عن هذه القرية قـومها، ولكن اجتهد البعض فى معرفه ما هى هذه القـرية؟ ومن هم الرُسل الثلاث؟ ولكن قـد أخطأ الكثـير فقـال بعض الناس إنها إنطاكية ولكن ابن كثير ضعف هذا الرأى وغيره من أئمة التفسير.

واختلفـوا أيضاً فى الرسل فقـال بعضهـم إنهم كانوا من الحواريين تلاميذ المسيح عيسى - عليه السلام - أرسلهم لأهل هذه القرية.

اتخذ بعض الناس من نصارى اليوم من هذا الرأى الضعيف[1] حجة على أن القرآن يشهد بأن المسيح هو الله لأنه يُرسل رُسل..!! حاشا لله فى ذلك.

وهذا الرأى خاطئ لأنه رأى اجتهادى لا أكـثر من ذلك ولا يحمل فى طياته قيـمه تُذكر، ولا حـجة علينا فى ذلك لأن القـرآن لم يذكر ذلك.. وهذا الرأى باطل من وجوه:

١ - أهل إنطاكية آمنوا برسل المسيح إليـهم وكانوا أول مدينه آمنت بالمسيح، والقرآن يذكر أهل هذه القرية لم يؤمنوا بما جاء به الرسل الثلاث..؟

٢- لم يُعرف فى أى مصدر تاريخى مسيحى أو غير مسيحى أن قرية أنطاكية أهلكت والقرآن يذكر أن القرية المذكورة أُهلكت بأمر الله.

٣ - ما يظهـر من الآيات أن هؤلاء الرسل هم رسل الله تعـالى الواحد ولم يذكر أنهم أُرسلوا من غيره؟

والغرض من هذه القصـة مثل مضروب لأهل مكة وللعـالم أيضاً على أنهم يشبهون فى تكذيبهم الرسل ﷺ أهل الـقرية التى أرسل الله إليها الرسل فكفرت

---

(١) أمثال القس الكاهن مرقس عزيز.
القس الدكتور داود رياض فى كتابه من يقدر على تحريف كلام الله؟

بهم فُيحذر الله أهل مكة كى لا يقعوا فى هذا الكفر أيضاً كى لا يصيبهم ما أصاب أهل القرية المذكورة.

والمؤمن الحق يتعلم من هذه الآيات وهذه القصة كثيراً من العبر والعظة الدروس الاجتماعية والروحانية كى يتذكر الله دائماً ولا ينساه.

٢ - أصحاب الرس:

ذكر القرآن الكريم قصة قوم سمّاهم «بأصحاب الرس» ولم يذكر من هم؟ ولا فى أى زمن كانوا؟

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [سورة ق: ١٢].

واختلف المفسرون فى تعيين أصحاب الرس واتفقوا على أن الرس بئر عظيم أو حفير جير فقيل هم أصحاب الأخدود؟ وقيل إنهم من بلاد اليمامة فى مكان يُسمى «فلجاً» وقيل هم قوم من بقايا ثمود لأن الله ذكرهم مع ثمود فى سورة (ق)[1] فقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨ - ٣٩].

وكل هذه الإجتهادات ليس عليها دليل صحيح ولا معقول:

١ - فقال بعض إنهم أصحاب الأخدود كيف ذلك وأصحاب الأخدود ذكرهم الله بالمؤمنين فى غير هذا الموضع [سورة البروج] وكانوا ضحايا؟ أما أصحاب الرسّ فقد ذكرهم القرآن؟ بأنهم كفروا بالله تعالى وأهلكهم.

٢ - قال بعض آخر إنهم من بقايا قوم ثمود وليس على ذلك دليل وعللوا ذلك بأن الله ذكرهم مع قوم ثمود.

---

(١) انظر كتاب قصص القرآن للدكتور / محمد بكر إسماعيل ص ٤٠٦.

ولكن ليس هذا بدليل يُحتج به لأن الله ذكـر أكثر من قوم مع قـوم ثمود : ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

فذكر قوم عاد، قـرون أى أمم كثيراً أيضاً عبر القرون عـلاوة على استخدام حرف العطف الواو والذى يعنى المغايرة أى أن قـوم عاد غير قوم ثمـود غير قوم أصحاب الرس.

وعجباً لهؤلاء الذين اجتـهدوا فى ذلك الأمر لأنه لم يكن لديهم خيط واحد من القرآن أو السنه الصحيحه يوصلهم إلى الحقيقة.

ولو كان فى ذكر تفاصيل أكثر عنهم فائدة لذكرها الله فى كتابه فالغرض من هذه القصة هو العبرة والعظة وبيان حال من كفر بالله وأن الله لا يترك الكافر.

٣ - قوم تُبع وأصحاب الأيكة:

قوم تُبع: قال المؤرخون إنـهم قبائل من قوم سبأ - وهم حـميريون - كانوا يسكنون اليمن وحضرموت.

وتُبع: لقب لمن يملك جميع بلاد اليـمن - حمير، وسبأ، وحـضرموت فلا يُطلق على الملك لقب تبع إلاّ إذا كان قد ملك هذه المواطن الثـلاثة وقيل، سموه تبعـاً باسم الظل، لأنه يتبع الشـمس أى كان يعبـدها من دون الله، وقيل سُمى «تُبع» لأن الملوك تتبعه وتخضع له

والمراد بتُبع المذكورة فى القرآن هو: المسمى «أسـعد» والمكنى «أبا كرب» كان قد عظم سلطانه وغزا بلاد العرب ودخل مكة ويثرب وبلغ حتى العراق.

ويُقال: إنه الذى بنى مدينة الحيـرة فى العراق وكانت دوله تُبع فى سنة ألف قبل البعثة المحمدية[1].

---

(١) انظر كتاب قصص القرآن ص ٤٠٤.

وما يُهـمنا هنا: أن الله أهلك قـوم تُبع لأنهم كفـروا به وتمادوا فى كفـرهم وجعلهم لمن خلفهم آية وذكرهم الله فى سورة «الدخان» فقال ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧].

وأيضـــا فى ســـورة (ق) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الـــرَّسِّ وَثَمُودُ(١٢)وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(١٣)وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

وتعليق الإهلاك بقـوم تبع دونه يقـتضى أن تبـعاً نجـا من هذا الإهلاك وأن الإهلاك سلط على قومه.

فعن السيده عـائشة «ألا ترى أن الله ذمَّ قومه ولم يُذمّه» ورُوى عن النبىﷺ فى مسند أحـمد أنه قال:« لا تسـبوا تبعـاً فإنه كان قـد أسلم» وفى رواية «كان مؤمناً».

٤ - نبأ الذى اتبع هواه وأخلد إلى الأرض:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيـــنَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِيـــنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنـــفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

يظهر من الآيات أن الله يأمـر نبيه مـحمداً ﷺ أن يتلو على أهل مكة خـبر إنسان كفر بالله تعـالى وخرج عن الفطرة السليمة ورفض الحياة الروحـية الجميلة وأخلد إلى الأرض أى ركن إلى المادة التى خلق منها ومال مـع الهوى حيث مال ورفض أوامر الله له وانسلخ منها كما ينسلخ الثعبان من جلده.

وشبهه الله كحال الكلب في أخس حالاته وهي اللهث الدائم الذى لا ينقطع فى حال الخوف ولا فى حال الأمن.

وأمر الله للرسـول ﷺ أن يتلو على أهل مكة هذا الخـبر هو العبـره والعظه والذم فى الحياة البعيدة عن الله.

هذا ما ذكـر فى القرآن.. فلم يذكر اسـم هذا الرجل؟ ولا من أى قوم هو؟ ولا فى أى زمان كان؟

ولكن أهل الاجتهاد قالوا بأشياء كثـيرة فلنر ماذا قالوا قال بعضهم هو «بلعام بن باعورة» وقال آخرون هو «أميـة بن أبى الصلت»، وقال آخرون هو «أبو عامر بن صـيـفى» وقـال آخـرون - وهذا هو الرأى الراجح عندى - «رجل مـبـهم مجهول أبهمه القرآن لأنه لا يتعلق بذكر اسمه فائدة.

وهذا يدل على أنه كان فى الماضى أى من قرون فكيف يربطون بينه وبين من عاصر الإسلام؟!

ونقل الطبرى وابن كـثير والسيـوطى وغيرهم من المفسـرين أن أهل الكتاب وغيرهم من القصاصين والمنافقين نسبوا إلى بعض الصحابة والتابعين آثاراً فى هذا الشأن يصح منها شئ مثل:

١ - روى عبد الرازق بسنـده عن مسروق عن ابن مسعـود أنه قال «إنه بلعم ابن أبر».

٢ - وعن قتاده عن ابن عباس أنه قال «إنه صيفى بن الراهب».

٣ - وعن العونى عن ابن عباس أيضاً أنه قال «إنه رجل من أهل اليمن يقال له «بلعم» آتاه الله آياته فتركها».

٤ - وقـال مالك بـن دينار «هو رجل كان مـن علماء بنى إسـرائيل وكـان مُجاب الدعوة بعـثه نبى الله موسى إلى ملك مرين يدعـوه إلى الله فأعطاه رشوة فتبع دينه وترك دين موسى - عليه السلام -.

٥ - وقال عبـد الله بن عمرو: هو «أميـة بن أبى الصلت»؟ وقد علل بعض المعـاصـرين[١] بأنه أمية بن أبـى الصلت وقالوا لأنه كان يعلم كثـيراً من التوارة والإنجيل وتعلم منهمـا أنه يتقى بنى منتظر وسمع عن ملة إبراهيم وتعـبد بها ولما بُعث الرسـول ﷺ رفض آياته - آيات الله - وأعـرض عنهـا وناصـر المشـركين وامتدحهم.

ولكن هذا الرأى فى نظرى - خطأ وذلك لأن:

١ - ليس بن أبى الصلت هو الوحيد الذى رفض آيات الله وأعرض عنها.

٢ - قال: لأن القـرآن لم يذكر اسمـه ولذلك يجب أن يكون معـروفاً لدى العرب، ولكن نقول له لم يشتـرط ذلك فالقرآن ذكر قصة رجل مجـهول للعبرة والعظة؟

وهل علم أهل مكة بقوم ثمود؟ أصحاب الأيكة؟ قوم تُبع؟!.

٣ - الظاهر من الآيات أنه رجل من زمن الماضى «واتلُ عليهم نبـأ - خبر»؟ ولو كان معلومـاً لدى قريش لأشار إليه القرآن كما أشـار فى مواضع أخرى إلى «أبو لهب»، «أبو بكر»، والمهاجـرون وقد مال الشيخ رشيـد رضا إلى القول بأن هذه الآيات مثل ضربه الله للعظة والعبرة بحال رجل صفته ما ذكر.

وينقل عنه د/ إسـماعـيل «هذا مثل ضـربه الله تعـالى للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله ﷺ وهو مثل من أتاه الله آياته فكان عالماً بها حافظاً لقواعدها

---

(١) مثل الدكتور بكر إسماعيل فى كتابه قصص القرآن ص ٤٠٨.

وأحكامها قادراً على بيانها والجدل بها ولكنه لم يؤت العمل مع العلم الذى لا يُعمل به إلا يلبث أن يزول فأشبهه الله بالحية التى تنسلخ من جلدها وتخرج منه والثعبان يتجرد من جلده حتى لا تبقى له به صلة ورأى الشيخ رضا هو الأرجح عندى فى هذا الشأن.

٥ - قصه أصحاب الأخدود:

ذكر الله قصة لأناس ضحايا، كانوا مؤمنين يدعون إلى الله تعالى ولكن من يكره الدعوه إلى الله عنيد وعدو لكل من يدعو إلى الله.

فأحرقوهم فى أخاديد وجلسوا يشاهدونهم وهم يموتون أمامهم ويتستلذون بآلامهم وحرقهم.

ولم يذكر الله تعالى من هُم هؤلاء الذين حُرقوا؟ ولا من الذى أحرقهمﷺ ولا فى أى زمن كانوا؟

ولكن كل ما وصفهم به هو الإيمان بالله والدعوة إلى الله يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج] هذا ما ذكرته الآيات القرآنية.

والغرض من هذه القصة فى القرآن هو بيان حال الظالمين وحال المظلومين وجزاء كل منهما.

وذلك ليتعظ أهل مكة والعرب من عذاب المؤمنين بالحرق وغير ذلك من أساليب طرق العذاب.

وقد تفننوا فى تعذيب المؤمنين بشتى الوسائل وبأكثرها اشمئزازاً ورعباً حتى انتهى الأمر بهم إلى إحراقهم بالنار فى أخدود حفروه لهم وألقوهم فيه؟

وقد جلس أعداء الله والإيمان حول النار يتلذذون بعذابهم ولكنهم صبروا على النار ابتغاء وجه الله وضحوا بأرواحهم وتحملوا آلام النار وعذابها فى الدنيا خوفاً من أن تصيبهم فى الآخرة إذا انصاعوا إلى الكفر وتركوا الإيمان.

ولهذا وعدهم الله بالجنة يوم الحساب وبالثأر لهم ممن أحرقهم وقد ذكر الله هذا أيضاً من أجل تقوية عزائم المسلمين الضعفاء بشارتهم بالجنة وحسن المأوى.

وفى نهاية الفصل أريد أن أصل إلى أن القرآن لم يذكر من هم أصحاب الأخدود، ولا من الذى عذبهم؟

ولا فى أى زمان كانوا؟ وذلك بصورة مباشرة ولكن: هل من خيوط وإشارات ذكرها القرآن لنعلم من هُم؟.

هذا ما سنوضحه فيما سيأتى بأذن الله

* * * *

الفصل الرابع

حرق المؤمنين عبر كل العصور

ومن هم أصحاب الأخدود؟؟

فى الفصل السابق ذكرنا أسلوب القرآن فى ذكر قصص الأمم السابقة حيث لا يُذكر تاريخ؟ لا زمان؟ ولا أسماء بعينها وكل ذلك لكى نصل إلى تفسير سوره البروج كما سيأتى حسب أسلوب القرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً؟.

وفى هذا الفصل سنوضح أن طريقة الحرق كانت تُتبع فى تعذيب المؤمنين عبر التاريخ؟.

والغرض من ذكر ذلك هو التعرف على من هم أصحاب الأخدود؟ عن طريق تطابق ما جاء فى سورة البروج مع أى من حوادث الحرق عبر التاريخ.

١ - مُحاولة حرق إبراهيم - عليه السلام -:

إبراهيم - عليه السلام - هو أبو الأنبياء وبارك الله فى نسله وبدأ دعوته لقومه وكانوا يعبدون الأصنام فأتى ليلاً وحطم أصنامهم وعندما سألوه قال لهم اسألوا كبيرهم فبهتوا فقالوا لبعضهم أحرقوه وانصروا آلهتكم ألقوه فى النار ولكن هل حُرق ربراهيم؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ

لأَكيــدنَّ أصنامكُم بعْدَ أَن تولُّوا مُدْبِرينَ (٥٧) فجعلَهمْ جُذاذًا إلاَّ كبيــراً لَّهمْ لعلَّهمْ إلَيْه يرْجعُون (٥٨) قالُوا من فعلَ هذا بآلهتنا إنَّهُ لَمنَ الــظَّالمين (٥٩) قالُوا سمعْنا فتًى يذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إبْراهيــمُ (٦٠) قالُوا فأْتُوا به علَىٰ أعْيُنِ الــنَّاسِ لعلَّهُمْ يشْهدُون (٦١) قالُوا أأنــت فعلْت هذا بآلهتنا يا إبْراهيمُ (٦٢) قال بلْ فعلَهُ كبيــرُهُمْ هذا فاسْألُوهُمْ إن كانُوا ينطقُون (٦٣) فرجعُوا إلىٰ أنفُسهمْ فقالُوا إنَّكُمْ أنتُمُ الــظَّالمُون (٦٤) ثُمَّ نُكسُوا علَىٰ رُءُوسهمْ لقدْ علمْت ما هؤُلاء ينطقُون (٦٥) قال أفتعْبُدُون من دُون اللَّه ما لا ينفعُكُمْ شيْئًا ولا يضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ ولما تعْبُدُون من دُون اللَّه أفلا تعْقلُون (٦٧) قالُوا حرّقُوهُ وانصُرُوا آلهتكُمْ إن كُنــتُمْ فاعلين (٦٨) قُلْنا يا نارُ كُوني برْدًا وسلامًا علَىٰ إبْراهيــم (٦٩) وأرادُوا به كيْدًا فجعلْناهُمُ الأخْسرين﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٧٠].

ألقى إبراهيم فى النار ولكن الله حفظه ورد كيد الكافرين وأمر النار أن تحفظه من شدتها وأثرها.

ومن هنا يتـضح لنا أنه لا عــلاقة بـين سورة البـروج وبين إبراهيم - عليـه السـلام - لأن سورة البـروج تتحـدث عن مجـموعـة من المؤمنين تم حرقـهم وإبراهيم - عليه السلام - كان فرداً علاوة على أن إبراهيم نجى من النار.

٢ - نبوخذ نصر يأمر بحرق ثلاثة فتيه:

نبوخذ نصر: هو الذى سبى اليـهود إلى بابل ودمر مملكتهم فى فلسطين وفى بابا محل ملكه صنع تمثـالاً طوله ستون زراعاً وعرضه ست أزرع وأمـر بالسجود له وبعادته ومن يرفض السجود له يُقى فى النار فسجد الشعب ما عدا ثلاثة فتية وهم «شدرخ وميشخ وعبدنغو» فألقاهم فى أخدود النار.

«بنوخذ نصـر الملك صنع تمثالاً من ذهب طوله سـتون زراعـاً وعرضه سـته أزرع ونصبـه فى بقعـة دُورا فى ولاية بابل ثم أرسل نبوخـذ نصر الملك ليـجمع

المرازبة والسحّن والولاه والقضـاة والخزنة والفقهاء والمـفتون كل حكام الولايات لتدشين التـمثال الذى نصبه نبـوخذ نصر الملك ووقفـوا أمام التمثـال الذى نصبه نبـوخذ نصـر ونادى منادٍ بشدة قـد أُمرتم أيهـا الشعب والأمم والألسنة عنـدما سمعون صوت القرن والثانى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف أن تخروا وتسـجدوا لتمـثال الذهب الذى نصبـه بنوخذ نصـر الملك من لا يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط أتون نار مـتقدة لأجل ذلك وقتما سمع كل الشعوب صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير وكل أنواع العزف خر كل الشعوب والأمم والألـسنة وسجدوا لتمثـال الذهب الذى نصبه نبـوخذ نصر الملك.

لأجل ذلك تقدم حينئذ رجال كلدا نيـون واشتكوا على اليهود أجابوا وقالوا للملك نبوخـذ نصر أيها الملك عش إلى الأبد أنت أيضا الملك قـد أصدرت أمراً بأن كل إنسان يسـمع صوت القرن والناى والعود الرباب والسنطيـر والمزمار وكل أنواع العزف يخر يسـجد لتمثال الذهب ومن لا يخر يسـجد فإنه يلقى فى وسط أتون نار متقدة.

يوجـد رجال يهـود الذين وكلتهم على أعـمال ولاية بابل شـدرخ ومشـيخ وعبـدنغو هؤلاء الرجـال لم يجعلوا لك أيهـا الملك اعتبـاراً لآلهتك لا يعـبدون ولتمثال الذهب الذى نصبت لا يسجدون.

حينئذ أمر نبوخذ نصر - بغضب وغيظ - بإحضار شدرخ وميشخ وعبد نغو فآتوا بهؤلاء الرجـال قدام الملك فأجاب نبـوخذ نصر وقال لهم تعـمداً يا شدرخ وميشخ وعبد نغو لا تعبدون ألهتى ولا تسجدون لتمثال الذهب الذى نصبت فإن كنتم الآن مستعـدين عندما تسمعون صوت القـرن والناى والعود والربابا والمزمار

وكل أنواع العزف إلى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذى عملته وإن لم تسجدوا ففى الإله الذى ينقذكم من يدى فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو وقالوا للملك يانبو خذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقده وأن ينقذنا من يدك أيها الملك وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته.

حينئذ امتلأ نبوخد نصر غيظاً وتغير منظر وجهه على شدرخ وميشخ وعبد نغو فأجاب وأمر بأن يحملوا الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كان مُعتاداً أن يُحمى وأمر جبابرة القوة فى جيشه بأن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبد نغو ويلقوهم فى أتون النار المتقدة ثم أوثق هؤلاء الرجال فى سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم وألقوا فى وسط أتون النار المتقدة ومن حيث إن كلمة الملك شديدة والأتون قد حمى جداً قتل لهيب النار المتقدة الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبد نغو: وهؤلاء الرجال الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نغو سقطوا فى وسط أتون النار المتقدة.

حينئذ تحير نبوخذ نصر الملك وقام مسرعاً فأجاب وقال لمشيريه ألم نُلقِ ثلاثة رجال موثقين فى وسط النار فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك.

أجاب وقال ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون فى وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة ثم اقترب نبوخذ نصر إلى أتون النار المتقدة.

وأجاب وقال ياشدرخ ومشيخ وعبد نغو ياعبيد الله العلى اخرجوا وتعالوا فخرج شدرخ وميشخ وعبد نغو من وسط النار فاجتمعت المرازبة والشحن الولاة ومُشيرو الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن النار علي أجسامهم وشعرة من

رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحه النار لم تأت عليهم فأجاب نبوخذ نصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم فمتى قد صدر أمر بأن كل شعب وأمه ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبد نغو فإنهم يصيرون إرباً إرباً ونجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن يُنجى هكذا ، حينئذ قدم الملك شدرخ وميشخ وعبد نغو فى ولايه بابل» [دانيال ٣: ١ - ٢٩] (١).

من خلال هذه القصة التوراتية نفهم أن ثلاثة فتية مؤمنين بالله وبدينه الحق رفضوا أن يعبدوا غير الله.

نتيجة لذلك ألقوا فى أخدود النار.

ولكن الله أنقذهم من النار المتقدة.

فهل هؤلاء الفتية هم الذين قصدهم القرآن بأصحاب الأخدود ؟ أم هم شئ آخر؟!!

سنرى قريبا..؟

٣ - نصارى نجران فى جنوب الجزيرة العربية:

يشهد التاريخ كما بينا فى الفصل الثانى أنه فى جنوب شبه الجزيرة العربية

---

(١) نفهم من هذه النصوص أن نبوخذ نصر ملك على العالم بأسره وكل الشعوب والألسنة تخضع له وتُنفذ أوامره «ونادى مناد قد أُمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون...» ولكن هذا يخالف الواقع التاريخى لأن نبوخذ نصر لم يملك العالم بأسره ومثلاً جاء فى سفر يهوديت أن نبوخذ نصر ملك أيضا على الأشوريين رغم أنه كما يقول التاريخ لم يملك على الأشوريين قط فقد جاء مُلك نبوخذ نصر على حطام الأشوريين كما تشهد بذلك أيضاً الترجمة العربية المشتركة، وتقول ترجمة الآباء اليسوعيين «إن نبوخذ نصر ملك بابل [٦٠٤ - ٥٦٢ ق . م]،ولم يُلقب قط ملك أشور ولم يملك على نينوى التى دمرها أبوه نبوبو نصر سنة ٦١٢ ق . م.

من مـدينه نجران أحـرق الملك يوسف ذو النواس النصارى فى نجـران لتمـسكهم بدينهم ومات منهم آلاف محروقين.

وتسبب فى ذلك تدخل الأحباش بقيـادة أرياط بمساعدة الروم واحتلوا اليمن ٥٢٥م.

وكان هذا الحادث [حـرق نصارى نجران]، هو السبب فى انتشـار النصرانية فى العـرب تحت قيادة أباطرة الـرومان من بلاد العرب فـقد حـرضوا الأحـباش وهيأوا لهم الأسطول البحرى فنزل سبعون ألف جندى من الحبشه واحتلوا اليمن مرة ثانية بقيادة إرياط ٥٢٥م كما ذكرت وظل أريـاط حاكماً من قبل ملك الحبشه حتى اغتاله أبرهة الأشرم - أحد قواد جيـشه سنه ٥٤٩ م ،فنصب نفسه حاكماً على اليـمن بعد أن استـرضى ملك الحبـشة وأرضـاه وأبرهة هذا هو الذى جند الجنود لهدم الكعبة ٥٧١م وعُرف هو وجنوده بأصحاب الفيل.

وقد أهلكه الله بعد عـودته إلى صنعاء عقب وقعه الفيل فـخلفه على اليمن ابنه يكسوم ، ثم الابن الثـانى مسروق وكـانا أخبث سيـرة منه فى اضطهاد أهل اليمن وإذلالهم أما أهل اليمن بعد وقعة الفـيل استنجدوا بالفرس وقاموا بمقاومة الحبشة حتى أجلوهم عن البلاد.

ونالوا الاستقـلال ٥٧٥ م بقياده معد يكرب الحمـيرى واتخذوه ملكاً لهم ثم أُتيل ذات يوم فى ركابه وبقتل معد يكرب صارت اليمن متسعمره فارسيه تتعاقب عليها ولاه من الفرس وكان أولهم وهرز إلى أن جاء الحاكم بازان وكان آخر ولاه الفرس واعتنق الإسلام سنة ٦٢٨م.

---

(١) انظر كـتاب الرحـيق المخـتوم ص ٣٣، اليـمن عـبر التـاريخ ص ٧٧ - ٨٣ ، تاريخ أرض القـرآن ١٣٣/١ .

٤ - أصحاب الأخدود فى القرآن:

ذكر القـرآن قصه عن قـوم ثم تعذيبـهم بالحرق لأنهم كـانوا يدعون إلى الله ويؤمنون به يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١ - ١٥].

نفهم من الآيات أن الذين حُرقوا فى النار كـانوا مؤمنين بالله يدعون إلى الله أى كانوا يدعون أُناساً لا يعرفون الله، ولم يُحدد مصير الذين ألقوا فى النار فربما قد ماتوا شهداء بالحرق وربما نجوا منها.

أما عن قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ فسياق الآيات يدل على أن القتل هو للذين أحـرقوهم أى الكافرون ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ولم يذكر القرآن فى أى زمن كانوا؟ ولا من هم؟ ومن أى قوم؟

٥ - ذكر الرسول ﷺ لأصحاب الأخدود:

ذكر الرسول محـمد ﷺ أيضاً قصة عن قوم أُحـرقوا فى الأخاديد من ملك ظالم لا يعبد الله ورفض الدعوة إلى الله.

فقد ذكر الإمام مسلم فى صحيحه عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم كان له ساحر فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلى غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل.

فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فدمارها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب. أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتنى فقال إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك.

فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ فجئ بالغلام فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال له: إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل عى الراهب فجئ بالراهب، فقال له:

أرجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفترق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جئ بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فـدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم زروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فـرجف بهم الجـبل فسـقطوا وجـاء يمشى إلى الملك فـقال له المـلك: ما فـعل أصحابك.

قال: كفانيهم الله: فدفعه إلى نفـر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر.

فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فإنه كان بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله فقال الملك: إنك لست بقـاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو: قال: تجمع الناس فى صعيد واحـد، وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السـهـام فى كـبد القـوس ثم قل: باسم الله رب الغـلام، ثم ارمنى،فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى، فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع ثم أخذ سهـماً من كنانته، ثم وضع السهم فى كبـد القوس ثم قال: باسم الله رب الغـلام، ثم رماه فـوقع السهم فـى صُدغه فـوضع يده فى صدغـه فى موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت مـا كنت تحذر: قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فـحدث وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له: اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأه ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها، فقالت لها: يا أمّه اصبرى فإنك على الحق».

٦ - عصر الشهداء المسيحيين:

عُرِف هذا العصر بعصر الشهداء وكان منذ رفع المسيح إلى السماء فاضُهد أتباعه أشد اضطهاد فمنهم من صلب ومنهم من رجم ومنهم من أحُرق.

وموضعنا الآن فيمن أحُرق منهم.

وقد استمر هذا العصر لمده ٣١٣ سنة.

إلى أن تولى الحكم فى الإمبراطورية الرمانية قسطنطين وأعلن سنه ٣١٣ م فرمان التسامح الدينى وأحب النصرانية ويقال إنه اعتنقها وهذا ليس مضوعنا الآن.

وممن جاء من الحكام الرومان واضهد النصارى بالحرق:

١ - فى عهد الملك «طيباروس» قد حكم فى الفترة الواقعة ما بين [١٤ - ٣٧ م].

وجاء بعده قيصران كانا أشد قسوة منه على النصارى.

٢ - الإمبراطور «نيرون» وكان فى [٥٤ - ٧٨ م].

والذى اتهمهم بإحراق مدينة روما[١].

قد تفنن فى تعذيبهم فكان يلبسهم بجلود الحيوانات ويرميهم للكلاب تمزقهم، وكان يحكم عليهم بالقتل - الحرق - الجماعى.

٣ - الإمبراطور «تراجان» [٥٣ - ١١٧ م].

والذى تُوج إمبراطوراً وقد أمر ولاته فى الأقاليم التابعه له بتعذيب النصارى وإعدام كل من كان مسيحياً بشتى الأنواع وبعد موته تنفس المسيحيون الصعداء،

(١) المشهور تاريخياً أن نيرون القيصر كان قد اتهم بحرق روما عام ٦٤ م، فقام بدوره بإلصاق هذه التهمة للنصارى حتى يبرر ما يفعل بهم «تاريخ المسيحية ومذاهبها ص ٥٢».

وكانت معاملة الأباطرة الذين خلفوه فى الحكم حسنة إلى أن جاء «ديكيوس» ومن بعده.

٤ - الإمبراطر «ديكيوس» [٢٤٩ - ٢٥١م].

والذى أصدر مرسوماً باضطهاد كل من مسيحى وكان يأمر من قبض عليه بتهمة المسيحية أن يقدم قرباناً إلى الهيكل الوثنى(١).

٥ - الإمبراطور «دقلديانوس» [٢٨٤ - ٤٠٥].

أراد الأقباط في مصر التحرر من الرومان وأغلالهم وطالبوا بالحرية، وأمّروا أحدهم منشقين بذلك عن الإمبراطور فجاء دقلديانوس، بقوته إلى مصر وحرقهم وحرق كنائسهم وكتبهم وأعمل فيهم القتل قيل إنه قتل منهم ٣٠٠ ألف.

٧ - المسلمون الأوائل:

وممن عُذب بالحرق أيضاً المسلمون الأوائل فى صدر الإسلام فقد تفننت قريش فى تعذيبهم بشتى الطرق منها الحرق فأخذ كل رئيس قبيلة يعذب من دان من قبيلته بالإسلام:

١ - كان عم عثمان بن عفان رضى الله عنه يلفه فى حصير من رق النخيل ثم يدخنه من تحته بالنار.

٢ - وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية وكان حداداً فلما أسلم عذبته مولاته بالنار.

---

(١) وفى عصر ديكيوس حسب التاريخ المسيحى اختفى الفتيه أصحاب الكهف فى كهفهم واختبأوا فيه «انظر كتاب السنكسار المسيحى ونظم الجوهر للمؤرخ بن البطريق».

٣ - وكـان المشركـون يعـذبون خبـابا أيضـاً وغيـره عن طريق لوى عنقـه ويجذبون شعره وقد ألقوه على النار[1].

* * * *

(١) انظر سيره ابن هشام ١/٣١٧، ٣١٨، تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٦١ تفسير ابن كثير لسورة النحل آية ١٠٦ [٢/٦٤٨].

الفصل الخامس

غزو الأحباش للحجاز ٥٤٠م

- ذكرنا فيما سبق قصة أصحاب الأخدود وما حدث لهم ومن هم؟

- وهل ما ذكر فى القرآن فى سورة البروج هو وصف لحال الذين حرقوا فى نجران؟

- وبقى لنا أن نناقش قصة أصحاب الفيل ومن هم؟ وفى أى سنة حدثت؟

- وهل حدث هذا فى نفس العام الذى ولد فيه الرسول؟

- وكيف أهلك الله أبرهة الحبشى؟

- وهل أصاب جيش أبرهة الوباء؟ أم حجارة من السماء؟

كل هذه الاستفهامات سيدور هذا الفصل فى الإجابة عنها ذكرتها ليكون القارئ على بينة.

١- مطلع القصة؟

تدور أحداث هذه القصة التاريخية والتى ذكرها القرآن حول قوم أتوا من بلاد ليهدموا الكعبة ولكن الله رد كيدهم فى نحرهم عن طريق إرسال طير منظم وكأنهم جيش من السماء يحمل حجارة صغيرة الحجم ولكنها فعلت ما عجزت عنه قوى البشر فدكتهم دكا.

هذا هو مختصر ما ورد فى جميع كتب التفسير ولكن هل هذه الأحداث تتوافق مع كتب التاريخ وهل هذا التأويل لآيات الله صحيح؟

أم ما يقصده القرآن شئ آخر؟

والحقيقية أن هذه القصة صحيحة وتشهد المراجع التاريخية من حيث تعرض الأحباش للحجاز ويكفينا شهادة القرآن يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ .

تبدأ الآيات بـ «ألم تر» أى تذكير عن حدث كان مشهوراً وقتئذ ومن المعلوم أن خطاب الله فى القرآن للرسول إنما هو خطاب إلى الناس، المهم هنا أن الله يذكر «قريش» بحدث قصة الفيل وهم لم ينسونه ولكن التذكير هنا مقرونا بحجة عليهم ليعلموا فضل محمد ﷺ على البيت الحرام المقدس لديهم فيقول لهم الله ألم تعلموا أن الكعبة كانت ستهدم ولكن حفظتها من المعتدين؟

وهذا لأجل أننى باعث منها نبيا فهذا دليل على نبوته ﷺ إذا هذا الحدث «محاولة هدم مالكعبة» كان مشهوراً لدى العرب منقولاً بالتواتر جيلا بعد جيل وعبر عن ذلك بـ«ألم تر» لتيقنهم منها تيقن الرؤية وهم رؤوها لأنها كانت قريبة العهد بهم فكانت قبل مولد الرسول ﷺ بشهور قليلة وهذا التواتر يكفى لإلقاء صبغة تاريخية صحيحة للرواية القرآنية ولقد كان حفظ الكعبة الشريفة من أصحاب الفيل نعمة من نعم الله فقد حفظ بيته المحرم من شرهم وأبادهم عن آخرهم فأكبر العرب قريش وعلت مكانتهم لدى العرب فى أى مكان حلوا فيه.

٢ - أصحاب الفيل فى المصادر اليونانية

كان الرأى الشائع فى الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية القديمة لم تتحدث عن تعرض الأحباش للحجاز ولا عن سفر الفيل غير أن المباحث الدقيقة والدراسات الحديثة التى نشرها العلماء والمؤرخون عكس ذلك فقد أعلن العلامة

المستشـرق تيودور بركوب اليونانى عن تعـرض الأحباش للحجـاز بتحريض من الروم ومن ذلك اتخـذت الدراسات التاريخـية وجهـة أخرى تبـدأ فيهـا بدراسة الوقائع من وجـهة نظر المصادر اليونانيـة وتمحص على أساسها مـا ورد فى كتب المؤرخين العرب ويرى بعض الباحثين أن هذه الوجهة التى مـال معها المستشرقون صحـيحـة الأسس لأن مؤرخى العـرب تأخر بهم العـصر نحو ثـلاثة قرون من الزمـان حمل فى تضـاعيـفه من الأسـباب القـوية ما يجـعله يتناول الواقـعات والحوادث بتأثيره فينسخ من حول مدتهـا الأقاصيص المتقومة بروح العصر وهكذا كان أن أسلم وقائع الجاهـلية فى عصر التدوين فى القرن الثانـى للهجرة بعد أن غابت حـقائق فى تيـه من الأساطير التـى حيكت من حولهـا والتى غطت على أمرها ومن هـنا يجد بعض البـاحثين أن للمصـادر اليونانيـة قيـمتهـا التاريخـية باعتبارها مصادر صحيحة معاصرة للوقائع التى جرت ومن هنا يتخذونها محكما لدراسة الروايات العربية واستخراج العناصر منه.

هكذا اعـتبروا المصـادر اليونانيـة المهيـمنة على المصادر الـعربية مع أنـها لم تختلف كثيرا عن المصادر العربية ودون أن يدرسوا نوعية هذه المصادر ولا أحوال مؤرخى اليونان.

وعلى كل فـإن المستـشـرق بركوب يذكـر أنه فى السنة الخـامسـة من حكم الامبـراطور جيسـتينيان حـوالى سنة ٥٢٥ - ٥٣٠م حمل الأحبـاش على اليمن ويصور أسباب هذه الحملة إعتماداً على ما يقدره يوحنا المؤرخ اليونانى فيقول إن يوسف ذو النواس «دومينوس الحميـرى» انقض على بعض التجار النصارى الروم فقتلهم واستبعد نصارى نجران فـأخذ يقطع السبيل على تجارة اليونان فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الأحوال الاقتصادية وقد تضرر من هذه السياسة

أقيال اليمن فخرجو تحت لواء أحدهم وهو أيدوج الوثنى وجرت بينهم وبين «ذو النواس» معارك وحروب لم يثبت فيها وانتهى أمره بأن قتل فانتهز الأحباش فرصة تحارب اليمانيين فقاموا بغارة على بلاد اليمن تحت قيادة أبرهة الذى كان فى الأصل عبدا لأحد تجار الروم النازلين أدوليس وفتكوا بأيدوج وخضعت اليمن لسلطة ملك الحبشة غير أن المصادر العربية تجعل من أيدوج هذا قائداً حبى متسمية أرياط وأنه باسم النجاشى حارب ذو النواس.

ونقول لمن يفضل المصادر اليونانية على المصادر العربية ما الدليل على أن أيدوج كان من اليمن فى المصادر العربية نقلت ما جرى فى بلادها وهل يعقل أن نأخذ برأى مصدر أجنبى فى تحديد ماضينا.

وعلى كل بعد ذلك تغلب على حكم اليمن إلا أن أبرهة الأشرم أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح فى إزاحته عن السلطة وتمكن من قتله وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشى ونقطة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها فما المانع أن يكون أيدوج يمنيا وكان خائناً.

وما يهمنا هو أن المصادر العربية تتفق مع المصادر اليونانية فى جزء كبير فى أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذو النواس وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدة حدث أن أرسل الإمبراطور جيستينيان الرومى سفيراً يدعى حوليان عرض من قبله على النجاشى فكره عقد محالفة مع الروم ضد الفرس ويكون دور الأحباش هو القرض للفرس من جهة بلاد العرب المتاخمة لجنوب عزب الحدود الفارسية وذلك لتحفيف الضغط على الروم فى صراعهم مع الفرس على بعض الحدود بين الإمبراطوريتين وهذه السفارة حدثت.

٣ - سبب غزو الأحباش للحجاز ٥٤٠م:

ذكرنا أن إمبراطور الروم جوستنيان أرسل إلى ملك الحبشة أن يساعده في حروبه ضد الفرس وذلك لسببين:

١ - كانت اليمن تخضع لملك الحبشة ويفصل بين اليمن وفارس الخليج الفارسي.

٢ - لتوزيع قوى الفرس على جبهتي الأحباش من ناحية والروم من ناحية أخرى.

وساعد على تشجيع ملك الروم من هذا الطلب من ملك الحبشة كما تذكر المصادر التاريخية اليونانية ما يلي:

١ - كانت الصلات قوية ووثيقة بين نجاشي - ملك - الحبشة وملك الروم ومما لا شك فيه أن جوستنيان اعتمد على هذه الصلات القوية في ذلك الأمر.

٢ - وحدة العقيدة الدينية - الديانة المسيحية - بين ملك الحبشة وملك الروم، ولم تكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش للروم في صراعهم ضد الفرس إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق في عالم الواقع وذلك لأن:

١ - لم يكن لدى الأحباش إسطول بحرى ضخم يمكنهم من غزو فارس من جهة الخليج العربي.

٢ - ولم يكن في إمكانهم إرسال حملة من اليمن قاعدة في بلاد العرب عبر صحرائها للتعرض للتخوم العربي الفارسي لأن طبيعة تضاريس بلاد العرب لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة..

وقد أدرك ملك الحبشة هذه الحقيقة لإلمامه بالموقف الذي غاب عن إمكان تقديم مساعدة فعالة للروم في صراعهم ضد الفرس فلما اشتد الصراع وبلغ

أقصاه سنة ٥٤٠م أرسل جوستنيان رسولاً خاصاً - سفيراً - هو حوليان، اضطر النجاشى الحبشى مجاملة أن يأمر عامله على اليمن - أن يرسل قسماً من قواته شمالاً على زعم التحرك للتعرض للتخوم الفارسية[١]. .

والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى ومما لاشك فيه أن الأحباش اتخذوا هذا الطريق مسلكهم نحو الشمال غير أن القوات التى أرسلوها حين انتهت إلى الحجاز كان التعب قد نال منها والمرض قد أفنى معظم رجالها والجدرى - مرض - فتك بجنودها فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويعتذروا بخسائرهم إلى الروم ويقفوا عند هذا الحد غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد هالهم تقدم الأحباش فى جيش هائل عظيم بالنسبة لهم ورأوا أنهم يبيتون لهم شراً فلما أصيبوا بالوباء أيقن العرب أن ذلك أثر تدخل العناية الإلهية التى حفظتهم مما كان الأحباش يبيتونه لهم وهذا هو المصدر التاريخى اليونانى عن غزو الأحباش للحجاز[٢].

فلم يذكر فيلة ضخمة الحجم، ولا هلاك الجيش الحبشى بالحجارة بل ذكر هلاكهم عن طريق المرض - الوباء، الجدرى.

والسبب فى الزحف إلى مكة هو الذهاب إلى التخوم الفارسية فقط ولكن هذا مخالف للرواية العربية والتى يؤيدها القرآن والمصادر العربية التاريخية الصحيحة كما ذكرنا من قبل. .

وأرى أنه لا تعارض بين الرواية القرآنية والمصادر العربية وبين هذه المصادر اليونانية.

---

(١) انظر خريطة (٢) لتعلم السير من اليمن إلى التخوم الفارسية براً.

(٢) انظر على الإنترنت http// w.w.w.lamalef. net/ akl20.

١ - وذلك لأن المصادر اليونانية تذكر أن زحف الأحباش إلى مكة شمالاً كان سنة ٥٤٠م..

٢ - والمصادر العربية تقول بأن غزو الأحباش لمكة كان سنة ٥٧٠م..

٣ - إذاً هناك فرق بين الحدثين فما المانع أن يكون الأحباش زحفوا شمالاً مكة ولم يكن قصدهم مكة سنة ٥٤٠م ثم بعد ذلك ذهبوا إلى مكة ثانية بغرض هدم الكعبة كما تقول المصادر العربية سنة ٥٧٠م.

خريطة (٢)



خريطة توضح سير الحملة الحبشية الأولى سنة ٥٤٠م شمالاً عبر الحجاز متجهة إلى التخوم الفارسية ولكنها فشلت قبل أن تصل.

بسبب الظروف الجغرافية والجوية وانتشار مرض الجدرى فى الجنود.

الفصل السادس
غزو الأحباش للحجاز ٥٧٠م
بقيادة إبرهة الأشرم

ذكرنا فى الفصل السابق اعتراض البعض على أن يكون إبرهة الأشرم حاول هدم الكعبة سنة ٥٧٠م.

وذلك لأنهم قرأوا فى بعض المصادر اليونانية أن الأحباش اتجهوا شمالاً حيث مكة ولم يكن قصدهم مكة بل كان قصدهم التخوم الفارسية..

وظن أهل مكة أنهم قادمون لغزوهم.

بل ويعترضون أيضاً على قصة الطير الذى أنزله الله حاملاً حجارة فى فمه على جيش إبرهة.

وذلك لأن بعض المصادر اليونانية تذكر أنه أثناء سير الحملة الحبشية شمالاً سنة ٥٤٠م أصيبوا بالجدرى والوباء.

ونقول لسيادتهم وكما ذكرنا فى الفصل السابق أن هناك فرق بين الحدثين.

١ - سنة ٥٤٠م صعد إبرهة وجيشه شمالاً ومرّوا بمكة قاصدين التخوم الفارسية ولكنهم لم يتحملوا طول المسافة والطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية، وأصيبوا بالوباء والجدرى.

٢ - سنة ٥٧٠م صعد إبرهة بجيش ضخم أيضاً ولكنهم هذه المرة قصدوا مكة مُحاولين هدم الكعبة ولكن الله حفظها من كيدهم.

فأرسل عليهم طيراً منظماً يحمل حجارة صغيرة جداً Very Tiny فى فمها ولكنها بقدرة وأمر الله تعالى كان لها تأثير أكبر من الحجارة الكبيرة الحجم.

إذاً فهناك فرق بين الحدثين.

وقد علمنا فى الفصل السابق أسباب الحملة الأولى للأحباش على الحجاز ٥٤٠م.

فما هى الأسباب فى الحملة الثانية؟ ٥٧٠م؟

هذا هو موضوع هذا الفصل

١ - نبذة عن تاريخ مكة:

قلنا إن الحملة الثانية للأحباش على الحجاز كانت بغرض هدم الكعبة وربما لم يكن هذا السبب الوحيد.

فإن للأحباش مطامع فى شبه الجزيرة العربية كما سنناقش ذلك قريبا.

وما يهمنا هنا : يجب أن نعلم تاريخ مكة وذلك لعموم الفائدة التى تعود على القارئ لأن محاولة هدم الكعبة من ضمن تاريخ مكة.

١ - فالكعبة هى بيت الله الحرام وقبلة المسلمين جعلها الله سبحانه وتعالى مناراً للتوحيد ورمزاً للعبادة يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

فهى أول بيت وضع للناس من أجل عبادة الله قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وللكعبة المشرفة تاريخ طويل مرت فيه بمراحل عديدة ويبتدأ منذ عهد إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل حين أمره الله أن يترك ابنه الوحيد إسماعيل وأمه هاجر فى مكة وحدهم بغير زرع ولا ماء ولا بشر.

وفى مكة أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه الوحيد إسماعيل وبعد الاستقرار فى مكة وبلوغ إسماعيل أذن الله تعالى لهما ببناء الكعبة ورفع قواعدها يقول تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧].

فجعل إسماعيل عليه السلام يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى وارتفع البناء شيئاً فشيئا حتى أصبح عالياً لا تصل إليه الأيدى وعندها جاء إسماعيل بحجر ليصعد أبوه ويكمل عمله.

واستمروا على ذلك وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] حتى تم البناء واستوى ثم استقرت بعض القبائل العربية فى مكة من «العماليق»، «جرهم» وتصدع بناء الكعبة أكثر من مرة نتيجة لكثرة السيول والعوامل المؤثرة فى البناء وكان أفراد تلك القبيلتين يتولون إصلاحها ورعايتها ومرت السنون حتى قامت قريش ببناء الكعبة وذلك قبل البعثة بخمس سنين وكان بناء الكعبة آنذاك على هيئة تجاره منضودة موضوعة بعضها فوق بعض من غير طين مما جعل السيول التى تجتاح مكة بين الحين والآخر تؤثر على متانة الكعبة فأوهت بنيانها وصدعت جدرانها حتى كادت أن تنهار فقررت قريش إعادة بناء الكعبة بناء متيناً يصمد أمام السيول ولما أجمعوا أمرهم على ذلك وقف فيهم أبو وهب بن عمر فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسيكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغى - ظلم -، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس لكن قريشاً تهيبت من هدم الكعبة وخشيت أن يحل عليهم بذلك سخط الآلهة فقال لهم الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ[1] المعول وبدأ بالهدم وهو يقول: اللهم لم نزغ ولا نريد إلا الخير فهدم من ناحية الركنين فترقب الناس ليلتهم ليروا هل أصاب المغيرة شر بسبب ما فعل؟

---

(١) انظر على الانترنت:
w.w.w. islamweb.net/ ver2/ archive

فلما رأوه يغدو عليهم لا بأس به، قاموا إلى الكعبة فأكملوا هدمها، حتى لم يبق منهـا إلا أساس إبراهيم عليـه السلام ثم تلى ذلك مـرحلة البناء فتم تقـسيم العمل بين القبائل وذلك لأن الكعبة كانت رمزاً دينياً لكافة القبائل.

وتولت كل واحـدة منها ناحيـة من نواحى الكعبـة فجـعلوا يبنونها بحـجارة الوادى ولما بلغ البنيان موضع الحـجر الأسود دب الشقاق بين قـبائل قريش فكل يريد أن ينال شرف رفع الحجر إلى موضعه وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم حتى جاء أبو أمية بن المغيرة المخزومى فاقترح عليـهم أن يحكّموا فيما اختلفوا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسـجد الحرام فوافـقوا على اقتراحـه وانتظروا أول قادم، فإذا هو بمحـمد بن عـبد الله ومـا إن رأوه حتى هتـفوا: هذا الأمين رضـينا هذا محـمد، وما إن انتهى إليـهم حتى أخبروه الخـبر فقـال «هلمّ إلى ثوباً» فأتوه به فوضع الحجـر فى وسطه ثم قال «لتأخذ كل قـبيلة بناحية من الثـوب ثم ارفعوه جميعاً» ففعلوا فلما بلغوا به موضعه أخذه بيده ووضعه فى مكانه..

ولما كانت قريش قـد عزمت على بناء الكعبة من حـلال أموالها فقـد جمعت لهذا الأمر ما استطاعت إلا أن النفقـة قد قصرت بهم على إتمام بناء الكعبة بالمال الحلال الخالـص ولهذا أخرجوا الحـجر [الحطيم] من البناء ووضعوا عـلامة تدل على أنه من الكعبة وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنهـا «ألم ترى أن قومك قـصرت بهم النفـقة؟ ولولا حـدثان قومك بكـفر لنقضت الكعبة وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً وأدخلت فيها الحجر».

ولما جاء عهد ابن الزبير - رضى الله عنه قرر أن يعيد بناء الكعبة على نحو ما أراد رسول الله ﷺ فى حياته فقام بهدمهـا وأعاد بناءها وزاد فيها ما قصرت عنه نفقة قريش وكان حوالى ستة أزرع وزاد فى ارتـفاع الكعبة عشرة أزرع وجعل لها

بابين أحدهما من المشرق والآخر من المغرب يدخل الناس من باب ويخرجون من الآخر وجعلها في غاية الحُسن والبهاء فكانت على الوصف النبوى كما أخبرته بذلك خالته عائشة أم المؤمنين.

وفي عهد عبد الملك بن مروان كتب الحجاج بن يوسف الثقفى إليه فيما صنعه ابن الزبير في الكعبة وما أحدثه في البناء من زيادة وظن أنه فعل ذلك بالرأى والاجتهاد فرد عليه عبد الملك بأن يعيدها كما كانت عليه من قبل فقام الحجاج بهدم الحائط الشمالى وأخرج الحجر كما بنته قريش وجعل للكعبة باباً واحداً فقط ورفعه عالياً وسد الباب الآخر ثم لما بلغ عبد الملك حديث عائشة ندم على ما فعل وقال «وددنا أنا تركناه وما تولى من ذلك» وأراد عبد الملك أن يعيدها على ما بناه ابن الزبير فاستشار الإمام مالك فى ذلك فنهاه خشية أن تذهب هيبة البيت ويأتى كل ملك وينقض فعل من سبقه ويستبيح حرمه البيت.

وأما آخر بناء الكعبة فى العصر العثمانى فكان سنة ١٠٤٠هـ عندما اجتاحت مكة سيول عارمة أغرقت المسجد الحرام حتى تم العمل ولازالت الكعبة شامخة تهفو إليها قلوب المؤمنين.

٢ - عام الفيل ٥٧٠م:

سمى بهذا الاسم نسبةً إلى الحادثة التى وقعت فى تلك السنة عندما حاول إبرهة الأشرم تدمير الكعبة ليجبر العرب إلى الذهاب إلى كنيسة أو كعبة[١] القلُيس التى بناها وزينها فى اليمن ولكن العرب لم يهتموا بها بل وصل الأمر كما يُقال إلى أن أحد العرب أهانها ودخلها ليلاً وقضى فيها حاجته مما أغضب إبرهة.

---

(١) سُميت بالكعبة لأنها مكعبة الشكل.

فخرج إبرهة الأشرم بجيش عظيم ومعه فيلة كبيرة تتقدم الجيش لتدمير الكعبة ولإرهاب العرب لأن العرب لم يعرفوا الأفيال وعندما اقترب من مكة.

وجد قطيعاً من النوق لعبد المطلب سيد قريش فأخذها غصباً فخرج عبد المطلب جد الرسول محمد ﷺ طالباً منه أن يرد إليه نوقه ويترك الكعبة وشأنها فرد إبرهة الأشرم النوق لعبد المطلب ولكنه رفض الرجوع عن مكة وأشهر كلمة لعبد المطلب عندما سأله إبرهة الأشرم لماذا لا تدافعون عن الكعبة؟

قال له عبد المطلب «أما النوق فأنا ربها - صاحبها -، أما الكعبة فلها رب يحميها».

٣ - أسباب غزو إبرهة الكعبة ٥٧٠م:

١ - ذكرنا من قبل أنه فى ذلك الوقت - قبل الإسلام -كان أكبر إمبراطوريتين فى العالم هما:

١ - الإمبراطورية الفارسية.

٢ - الإمبراطورية الرومانية.

وكان كلاهما قويين وبينهما حروب وصراعات شتى على الحدود وكانت شبه الجزيرة العربية ذات موقع جغرافى متميز وخاصةً بالنسبة للروم لأنها قريبة من جهة البر من التخوم الفارسية فدعمت الروم الأحباش أكثر من مرة لغزو شبه الجزيرة العربية الأولى سنة ٥٤٠م، والثانية سنة ٥٧٠م.

وفشلت الحملة الأولى بسبب العوامل الجوية والجغرافية ومرض الجنود بالجدرى والوباء، وذلك لطول المسافة بين اليمن والتخوم الفارسية.

ولذلك دعمت الروم الأحباش بحملة ضخمة عندما طلب منها إبرهة الأشرم ٥٧٠م بفكرة احتلال الحجاز حتى يستوطنوا فيها ويجعلون منها مركزاً حربياً لهم وينتقلون منها إلى التخوم الفارسية بسهولة ويسر بدلاً من اليمن.

٢ - عندما أحرق ذو النواس نصارى نجران تذكر كتب المؤرخين العرب أنه لم يفلت منهم سوى «دوس ذو ثعلبان».

فاستغاث بملك الروم فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة الأشرم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو النواس غريقاً في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران إبرهة وقائده أرياط.

وقد دبر إبرهه محاولة لقتل أرياط ونجح في ذلك وعندما علم نجاشي - ملك الحبشة بذلك توعد إبرهة وأن لا يتركه على فعلته هذه.

فأرسل إليه إبرهة يترفق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف من كنوز اليمن.

وقال في رسالته لملك الحبشة: ليطأن الملك على هذا التراب فيبر قسمه لأن ملك الحبشة أقسم أن يطأ تراب أرض اليمن.

وقال إبرهة لملك الحبشة أيضاً: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبن قبلها مثلها.

فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء، مكعبة الشكل.

وسمتها العرب «القلّيس» لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بناءها.

٤ - لماذا كانت القليس مكعبة الشكل؟

قلنا إن برهة لما بنى كنيسته جعلها مكعبة الشكل وعرفت فيما بعد بكعبة نجران لأنها مكعبة الشكل.

فلماذا صنعها إبرهة مكعبة الشكل؟؟

من استنتاجات الأحداث والقرائن التاريخية يتضح بما أن أبرهة حاول أن ينشر المسيحية فى العرب يجب عليه أن يعلم ما طبيعة الرموز الدينية للعرب حتى يدخل إليهم من هذه الناحية.

فوجدهم يحجوا إلى الكعبة وتُعتبر مركزاً دينياً مهما لهم فصنع الكنيسة على شكل الكعبة - مكعبة الشكل - حتى يسهلُ دعوته إليهم بنفس منطقهم ورمزهم.

ولكنها فى الحقيقة كنيسة ولكنها مكعبة الشكل فنادى فى العرب بأن يأتوا إليها ويتحول المركز الدينى كعبة القُليس بدلاً من كعبة قريش.

فكرهت العرب العدنانية والعرب القحطانية ذلك.

وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً حتى قصدها - كعبة القُليس - بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلاً وأحدث فيها حاجته - تبرز وتبول - وكر راجعاً.

فلما رأى السدنة هذا الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم - كعبة قريش - الذى ضاهيت هذا به،

فأقسم أبرهة ليصيرن إلى مكة وليخربن بيتها حجراً حجراً فاستعد أبرهة لذلك وصار فى جيش ضخم كثيف لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الحجم لم ير العرب مثله.[1]

وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك الأمر الهام وقيل كان معه ثمانية أفيال، وقيل اثنا عشر فيلاً، وقيل غير ذلك.

---

(١) من العجيب المضحك وجود بعض الخرافات في بعض الكتب القديمة وهو أن اسم هذه الفيلة - محمود -، وكيف ذلك واسم محمد ومحمود وأحمد لم يُعرف قبل الإسلام؟!.

فلما سمعت العـرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ورأوا أن حقاً عليـهم المحاجبة دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج إليـه رجل من أشراف اليمن وملوكهم يُقال له «ذو نفر» فدعا قومه ومن أجـابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخـرابه فأجابوه، وقاتلوا أبرهة فهـزمهم وأُسر «ذو نفر» فاسـتصحبه معـه، ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض «خـثعم» عرض له «نفيل بـن حبيب الخـثعمـى» فى قومه فـقاتلوه فـهزمهم أبرهة وأُسر «نـفيل بن حبيب».

أُراد قتله ثم عفـا عنه واستصحبه مـعه ليدله فى بلاد الحجاز فلمـا اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم «اللات» فأكرمهم وبعثوا معه «أبو رغال» دليلاً أيضاً فى أرض الحجاز..

فلما انـتهى إبرهة إلى «المغـمس» وهو قريب من مكة نزل به، وأغـار جيـشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه.

وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب.

وبعث أبرهة «حناطة الحمـيرى» إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشـرف قريش، وأن يخبره أن الملك. لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت.

فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بـن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة.

هذا بيت الله الحرام وبـيت خليله إبراهيم فإن يمنعـه فهو بيـته وحـرمه، وإن يخلّ بينه وبينه فهو الله ما عندنا دفع عنه.

فقال له حناطة: فاذهب معى إليه فذهـب معه فلما رآه أبرهة أجله وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر ونزل أبرهة من سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه: قل له حاجتك؟ فـقال للترجمان: إن حاجتى أن يرد علىّ الملك

مائتى بعيـر أصابها لى فقال إبرهة لتـرجمانه: قل له: لقد كنت أعجـبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتك؟ أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك؟

فقال عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل وإن للبيت رباً يحميه قال: ما كان ليمتنع منى، قال: أنت وذاك.

ورد أبرهة على عـبـد المطلب إبله ورجع عـبد المـطلب إلى قريـش فأمـرهم بالخروج من مكة.

والتحصن فى رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرّة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعـبة وقام معه نفر من قريش يـدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهـــم إن المـــرء يمـــنــــع	رحله فـــامنع حـــلالك
لا يغـلبن صليـــبــــهم	ومـحـالهم غروا مـحـالك

فلما أصبح أبرهة تهيـأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه فـلما وجهوا الفيل نحو مكة أقـبل «نفيل بن حبيب» حـتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقـال للفيل «ابرك» وضربوا الفيل لكى يقوم فأبى.

فضربوه فى رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم فى مـراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى مكة فبرك.

وحينئذ: أرسل الله عليهم طيراً من البـحر أمثال الخطاطيف والبلسان ومع كل طائر. منها ثلاث أحجار يحملها:

- فى منقاره.

- وحجران فى رجليه.

أمثال الحمص والعرس.

ولا تصيب منها أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن «نفيل» ليدلهم على الطريق ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز.

ينظرون ما أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة والعذاب فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده.

وخرجوا به معهم يسقط جسده أنملة أنملة.

حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه كما يُقال[1].

وأصبح صنع الله بجيش أبرهة ما صنع وحمى بيته الحرام بقدرته - وهو الغالب أمره -.

فكان ذلك من أجل النعم على قريش وسائر العرب وكان ذلك من أجل محمد ﷺ.

وهذا دليل على نبوته احتج الله به ضد قريش.

فذكرهم الله ألم تروا يا قريش بأنفسكم حادثة الفيل وما أنزلت به على الأعداء من غضب وسخط أهوى بهم إلى الجحيم.

وحفظت البيت الحرام وحفظتكم أنتم أيضاً منهم «نعم رأوا ذلك».

فكل هذا من أجل النبى محمد بن عبد الله ﷺ.

٥ - تفسير سورتى الفيل وقريش:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ

(١) انظر ابن كثير في البداية والنهاية، قصص القرآن ص ٤١٢.

كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

وهناك ارتباط بين هذه السورة وبين سورة قريش.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾:

أى: من الواجب على أهل مكة أن يخلصوا العبادة لله الذى جمعهم بعد تفرق فى:

١ - أثناء بناء الكعبة عند الخلاف على الحجر الأسود كما ذكرت من قبل.

٢ - ببعثة محمد ﷺ وجمعهم على منهل مستقيم هو أصل الدين الإبراهيمى فى الجزيرة العربية.

والله الذى ألف بينهم بعد شتات ويسر لهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾:

والذى أطعمهم ورزقهم بالخيرات بعد أن كانوا فقراء وآمنهم من الخوف بسبب وجود البيت الحرام فى ديارهم، فلم تستطع قبيلة ما أن تغزوهم أو تهجم على قافلة تجارية لهم.

وعندما آمنهم من الخوف على أنفسهم وعلى البيت الحرام عندما هجم إبرهه الأشرم عليهم.

سورة الفيل

١ - مكية.

٢ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾:

وخطاب الله لمحمد ﷺ فالقرآن إنما هو خطاب للعرب والعالم، لأن محمداً ﷺ هو الوسيط بين البشر وبين الله أى: الذين جاءوا من بلاد الحبشة لهدم الكعبة والرسول محمد ﷺ لم ير أبرهة وما حدث له ولكن قريشاً والعرب من قبل رأوا ذلك فيخاطبهم الله عن طريق محمد ﷺ فقد ولد الرسول ﷺ قبل هذه الحادثة بخمسين يوماً وقال الله للرسول ﷺ «ألم تر» ولم يقل له «ألم تعلم» لأن خطاب الله أقوى من رؤيا العين فهذا يُسمى عين اليقين.

وكأن الرسول ﷺ رآها بعينه فيصدقها وكأنه رآها بعينه لأن الخطاب من الله وخطاب الله «يقين».

أما خطاب البشر عن الماضى فهو خطاب «علم» لأنه لم يبلغ اليقين ولا التواتر.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾:

أى جعل مكرهم فى خسران ورد كيدهم فى نحورهم.

﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾:

أى أرسل عليهم طيراً متتابعا ومتتاليا كجماعات وكجيوش منظمة ومدربة لأداء مهمة معينة.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾:

أى من طين يابس ولكنه بتأثير الحجارة الكبيرة فجعلتهم هلكى كأوراق الشجر اليابسة.

الفصل السابع
مناقشة الاعتراضات
على حادثة الفيل ٥٧٠م

فى الفصول السابقة قدمنا قصة أصحاب الفيل تفصيلياً وأوضحنا الجوانب الروحية والعقلية فيها.

بالإضافة إلى الدراسات التاريخية التى تؤكد صدق الروايات التاريخية العربية، والرواية القرآنية.

وفى هذا الفصل نناقش الاعتراضات على ما قدمنا فيما سبق ومن حق أى شخص أن يعترض ومن حقنا أيضاً أن نجيب.

١ - هل بنى أبرهه كنيسة القليس:

أنكر البعض وجود بناء دينى فى اليمن وقت احتلال الأحباش لليمن لكى ينقض القصة من الأساس فقال أحدهم «إننا نعلم أن المصادر المسيحية لم تشر البتة إلى مسألة بناء هيكل جديد فى صنعاء حاضرة اليمن على يد أبرهة.

هذا فضلاً عن أن المؤرخ أوزيت فى بحثه عن «تاريخ الكنيسة» يتناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة وعن تشييد هيكل فى صنعاء».

ويناقض نفسه - نفس الكاتب - قائلاً:

«غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة فى نجران وفى بعض المناطق من اليمن وأنه كان باليمن قسيس من النصارى على عهد حكم الأحباش لها ولاشك أن هؤلاء القسس الذين يرعون شئون طائفتهم الروحية كانوا يتخذون لأنفسهم فى حاضرة اليمن - صنعاء -هيكلاً يظهر أنه كان النواة التى قصدتها روايات

العرب هذا ربما كان الأحباش وهم نصارى اعتنوا بهذا الهيكل وزينوه بما يليق بمكانتهم كنصارى حاكمين للبلاد فربما حمل هذا العمل عند بدو الصحراء وعرب الحجاز على محاولة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة ولاشك أن هذا الوهم لم يكن ليمكن تصوره خصوصاً أن الأحباش إذا فُرض أنهم قاموا بمثل هذه المحاولة التى ينسبها مؤرخو العرب لهم فستكون هذه المحاولة وقفاً على النصارى من العرب وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة فإذا جاز أن نحمل هذه المحاولة على الرغبة فى التبشير بالمسيحية بين العرب فلاشك أن مثل هذا الحادث الخطير لم يكن ليمر بدون اشارة فى كتب تاريخ الكنيسة الشرقية.

ومن هنا لا نرى مجالا لقبول ما يقول رواه العرب عن سبب تعرض الأحباش للحجاز ومكة وبين وجود هيكل للنصارى بصنعاء»[١].

وللإجابة نقول:

١ - كيف يُعقل أن قوماً يستوطنون مكانا ولم يبنوا فيه بيتاً للعبادة لهم وخاصة إن كانوا نصارى علاوة على أنهم كانوا يسعون إلى التبشير بالمسيحية في العرب.

٢ - يعتمد المعترض على كتاب «تاريخ الكنيسة» لـ أوزيت أنه لم يذكر في كتابه تعرض الأحباش للحجاز، ولا عن بناء الأحباش لكنيسة لهم في اليمن، ولكن نقول له ليس هذا بدليلاً يُحتج به فعليك أن تقرأ المصادر المسيحية عن اليمن وتاريخ الكنيسة فيها.

---

(١) انظر على الإنترنت
http//w.w.w. lamalef.net/ ak02.

علاوة على أن أوزيت فى كتابه لم ينكر بناء الأحباش فى اليمن كنيسة فكيف عرف أنه - أوزيت - ينكر ذلك.

هل لمجرد أنه سكت عن هذا؟ أم ماذا؟

٣ - كيف يحتج بكتاب أوزيت والذى سكت عن هذا البناء والغزو وترك كتب مؤرخى العرب التى تذكر ذلك تفصيلاً؟

ومؤرخو العرب لهم المصداقية الأكثر حيث هم من العرب ويعلمون ماجرى وما حدث فى العرب تفصيلاً عن غيرهم.

٤ - الكاتب يناقض نفسه ويقول بأن الأحباش بنوا هيكلاً عظيماً فى اليمن وزينوه وجعلوه نواة لمركزهم الدينى[١].

٢ - الاكتشافات الأثرية تثبت وجود كنيسة فى اليمن:

جاء فى جريدة الرياض السبت ٦ مايو ٢٠٠٦:

تجرى عمليات تنقيب فى جنوب السعودية - صنعاء - للكشف عن أقدم كنيسة شيدت فى شبه الجزيرة العربية كان يطلق عليها سكان مدينة نجران قبل الإسلام اسم كعبة نجران.

وتأتى هذه المحاولة رغم الاختلاف الحاصل بين الأثريين حقيقة وجودها من عدمه.

إلا أن كتب التاريخ تذكر أنها بنيت، وقد شيدوها على طراز الكعبة المشرفة وقاموا بتعظيمها وقلدهم بعض العرب بعد ذلك الزمان، وجاء بشأنها أن العرب قد حجوا إليها أربعين سنة فى الجاهلية وهى كعبة إبرهة التى بناها إبرهة الأشرم:

---

(١) وماذا يقول أوزيت في كتابه: هل يقول أن أبرهه المسيحي حاول هدم الكعبة رمز الإسلام الآن ولكنه فشل فشلاً زريعاً.. هل يعقل أن بدو الصحراء انتصروا بدون أن يحاربوا؟ لماذا لم نعتبر ذلك تعتيماً؟ ونعتبره إنكاراً.

وتفـهم من ذلك أن الاختـلاف الحاصل على وجـود أقدم كنيـسة من حـيث وجودها أو عدمه إنما هو إختلاف على غير كعبة - كنيسة - إبرهة الأشرم.

ويزعم أهل نجران أن موقع الكنيسة - المُختلف عليها من قبل المؤرخين - كان على قمة جبل «تصلال» الذى يبعـد عن نجران إلى الشمال الشرقى بحوالى ٣٥ك ويرتفع الجبل عما عداه من الجبال بنحو ٣٠٠ قدم.

وها هى صـورة لهـذا الجـبل وذكـر المؤرخ عبد الله فيلبى مـن كتابه «النجاد العربية» أنه عندمـا زار منطقة نجران عام ١٩٣٦م اكتـشفهـا على هذا الجبل ومن صورة باهته لصنم وبالرغم من كل ذلك فإن كعـبة نجران مازالت مجـرد خبر فى بطون الكتب دون أن يصل إلـى تحقـيق دقيق يؤكـده - الخبـر - ويوضح صالح آل مريح مدير إدارة الآثار بمنطقة نجران لـ «العربية نت» أن جبل تصلال يقع على حدود بنى مـران الحارثى والمعروفين برباطه الجـأش والقوة وحماية الضـعيف لا يدخل فى حمـاهم مستـجير إلا أجـاروه وقال - آل مريح - أنـه لم يشاهد أية معالم تدل على أنه بُنى على الجبل كنيسة للنصـارى - هذه غير كنيسة إبرهة كما ذكرنا - قبل الإسلام.

ويرى أن هذا المكان هو حدود لبنى عبد المدان وليست هنا أية كنيسة أو مظاهر للعبادة فى المكان وأضاف: لو كانت قد شـيدت تلك الكنيسة لوجدنا أى مظاهر للمعيشة ولكننا لم نجد شيئاً ولقد وقفت على المكان بنفسى فلربما أطلق على هذا

المكان هذه التسمية نتيجة قوةوجأش عبد المدان وحتى يعرف حدود حماهم وأشار إلى أنه مازال البـحث يجرى حالـياً لمعرفـة مدى واقعـية وجود كنيـسة فى هذا المكان.

من جهـة أخرى قال بعض المؤرخـين بتسميـة كنيسة فى هذا المكان من جـهة أخرى قال بعض المؤرخين بتسمية الكنيسة بكعبة نجران لأن كلمة كعبة تطلق على كل بيت مكعب مشيـرين إلى أنه عندما انتشرت النصرانية فى نجـران بنوا كنيسة سموها كعبة نجران.

ويذكرون أنه بعد وصول المسيحية إلى الحـبشة جارة الجزيرة العربية من الغرب والتى ترتبط بصلات قـديمة بها انتـقلت المسيحيـة للجزيرة العربيـة وجاء بعض المبشرين لتنصير أهل نجـران فقاموا بتأسيس الكنيسة وتركزت المسـيحية فى نجران عام ٥٢٥م وحينها اتخذ أبرهة الأشرم نجران مركزاً رئـيسياً لنشر المسيحية فى بلاد العرب وبنى كنيسة كبيرة بشكل مكعب[١].

وعند ظهور الإسلام كـانت نجران وكنيستها المركـز الرئيسى فى اليمن - وهذه التى بناها أبرهه الأشرم.

ويؤكد الكاتب المصرى أحمد أمـين أن كعبة نجران كان فيها أساقـفة معتمدون وقد اشتهـر من بينهم قس بنى ساعدة ويذكر أدباء العرب أنه كـان أسقف نجران وأشار الدكتـور محمد حسـين هيكل إلى الخطبة التى ألقاها قـس بن ساعدة فى سوق عكاظ.

وأكد الدكتور محمد آل زلفة عضـو مجلس الشورى السعودى حقيقة بناء أول كنيسة نصرانية فى منطقة نجران مشيراً إلى موقعها على جبل تصلال وقال:

(١) انظر على الإنترنت
w.w.w.wikalah.net/ news 1506/6.

«درج عند العرب إطلاق اسم كعبة نجران على هذه الكنيسة نظراً لشكلها والذى شابه شكل المكعب ومن الطبيعى أن تشهد هذه المنطقة فى تلك الفترة وهى منتصف الألفية الأولى من الميلاد بناء كنيسة قال المؤرخون إن العرب حجوا إليها أكثر من ٤٠ سنة فى الجاهلية.

وأضاف إن كتب التاريخ تناقلت أن الكنيسة كانت مصنوعة من الجلد ولم يبق منها شيئ الآن إلا ما ذكره المؤرخ عبد الله فيلبى سنة ١٩٣٩ فى كتاب له من وجود مكان أو مساحة تأخذ شكل الطواف[1].

٣ - هل جاء إبرهة بفيلة ضخمة أثناء الغزو؟

ينكر بعض الباحثين وجود بعض الفيلة فى جيش الأحباش باليمن أثناء الغزو الحبشى للحجاز.

وقالوا بأن ذلك يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة، يميل بعض المؤرخين الأعلام من الغرب إلى إنكار وجود الفيلة من قوات الأحباش.

وذلك لزعمهم أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة فى اليمن وتسييرها فى صحارى نجران.

فضلاً عن أن الفيلة الأفريقية (التى قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا) من الصعوبة ترويضها حتى أن بعض الثقات الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك وهذه الاستحالة جعلت المؤرخين يرجحون أن تكون الفيلة التى ورد ذكرها فى حروب القرطاجنيين قديماً مجلوبة من الهند.

غير أن افتراض جلب الأحباش فيلتهم من الهند يقف فى سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويضها هذا من جهة ومن جهة أخرى لأنهم لم

(١) انظر الوكالة الرسلامية + وكالات اخرى
w.w.w.wikalah.net/news/506/6 - najras.

يكونوا أصحـاب أسطول يمخر عبـاب البحر الهندى حتـى يمكنهم جلب الفيلة الهندية على أن هذه الاعتراضات من الممكن ردها إذا لاحظنا:

١ - أن الأحبـاش استعـانوا بأسطول الروم لنقل جيـوشهم عـبر باب المندب والبحر الأحمر حين شنوا الغارة على اليمن.

٢ - أنه كان للروم سفائن حربية وأخرى تجارية فى البحر الأحمر وهذا يجعل من الممكن جلـب بعض الفـيلة فى حـملتـهم على فـارس ولا شك أن تعاون الروم مع الأحـباش أولاً والغرض مـن الحملة هو مسـاعدة الروم وثانياً يجعل لتفسير تسمية حملة الأحباش بسفر الفيل وجهاً مقبولاً.

٤ - هل علم العرب بقصة أصحاب الفيل:

أخذ بعض الـباحثين فى إنكـار قصة أصـحاب الفـيل وطلب الدليل على أن العرب كانوا يعلمون بهذه القصة.

وقالوا بأن ذلك من الخرافات التى أحدثها الإسلام ونقول لهذا الجاهل الذى لا يقرأ فى الأدب العربى قبل الإسلام اقرأ مـعنا كتب الأدب العربية قبل الإسلام - الشعر - لترى أن قصة أصحاب الفيل حقيـقة تاريخية كان العرب يعلمونها فقال ابن الزبعرى:

وتنـكلوا عن بـطن مكـة أنهـــا ... كـــانت قـديماً لايـرام حـريمهـــا

لم تخلق الشـعرى ليالـي حرمت ... إذا لا عـزيز من الأنـام يرومـهـا

سائـل أمير الجـيش عنهـا ما رأى ... ولسوف ينبي الجـاهلين عليمـها

ســتـون ألفـاً لــم يؤبوا أرضـهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقـيمها

كـانت بهـا عاد وجـرهم قـبلهم ... والله من فـوق العـباد يقـيـمهـا

وقال أمية بن الصلت:

ومن صنعه يوم فيل الحبو ش إذ كل ما بعثوه رزم
ماجمهم تحت أقرابه وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه منولا إذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

الفصل الثامن
من هم أصحاب الأخدود؟

ذكرنا فيما سبق أن الحرق كان وسيلة معتادة لدى الملوك الطغاة لتعذيب المؤمنين عبر التاريخ، وذكرنا أمثلة كثيرة على ذلك ولكن من هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا فى القرآن فى سورة البروج؟

فلنسير مع الآيات القرآنية خطوة بخطوة لنرا هل يتطابق الوصف المذكور فى سورة البروج مع نصارى نجران؟! أم ينطبق على غيرهم؟ ومن هم؟!

١ -﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾:

ما هى البروج؟ يبدو أنها طبقات السماء المتمثلة فى مجاميع المجرات كل مجرة فيها أعداد هائلة من الشموش.

وقيل: إن أصل معنى البروج (الظهور) وذلك لأن البناء العالى سُمى قصراً أى برجاً، كما سُمى موقع الدفاع عن المدينه بالبرج - برج المراقبة - ولعل انتخاب هذه الكلمة - البروج - هنا لأن فى السماء حرساً اتخذوا مواقع لرصد حركات الإنس والجن والشياطين، مما ينسجم مع السياق الذى يجرى فيه الحديث عن جزاء الطغاة على جرائمهم بحق المؤمنين، فإذا تحصن الطغاة ببروجهم الأرضية فإن للسماء بروجاً لا يستطيعون مقاومة جنودها.

وقيل أيضاً لبروج هى منازل الشمس والقمر والكواكب وأفلاكها التى لا تستطيع أجرام السماء على عظمتها تجاوزها قيد أنملة مما يشهد على أنها كانت مخلوقة مدبرة[١].

---

(١) انظر: W . W . W . almodarresi . com

٢ - ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾:

«واليوم الموعـود» وهو يوم القيامة، يوم رهيب ترتعـد فيه السمـاوات والجبال والبحـار وسائر الكائنات خـشية منه واشـفاقاً وأعظـم ما فيـه مواجهـة الإنسان لأفعـاله، بلا حجاب من تبـرير ولا قوة ولا ناصر.. وهكذا يحلف السـياق به على مـا يجرى الحديث عنـه من مسئـولية الطغـاة أمام ربهم عن جـرائهم بحق المؤمنين، إنه يوم لا منـاص منه، لأنه وعد الله ووعـد الله غـيـر مكذوب وليس الإنسان وحده بل الكائنات جميعاً موعودة بذلك اليوم، فأى يوم عظيم مثل ذلك اليوم؟!

٣ - ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾:

قال البعض: الشاهد يوم الجـمعة بينما المشهود يوم عـرفة، ومصدر هذ الرأى رواية عن الإمام على رضى الله عنه..

وقال البعض: بل كل يوم يشهـد على الإنسان بما يفعل، وروى عن الرسول ﷺ قوله: «ليس من يوم يأتى على العبد إلا ينادى فيه: يابن آدم أنا خلق جديد وانا فيمـا تعمل عليك شهـيد فاعمل فى خـيراً أشهد لك به غداً، فـإنى لو قد مضيت لم ترن أبداً، ويقول الليل مثل ذلك»[1].

والله الذى خلق السماء ذات البروج وأحسن خلقهـا لم يدع فيها ثغرة وجعل للناس اليوم الموعود ليجمعهم ويشهـدهم على أنفسهم، وهل يُترك الإنسان يفسد ويعبث فى الدينا ويقتل عباد الله المؤمنين بطريقة بشعة ثم لا يجازيه؟ كلا.

٤ - ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾:

وهنا القـتل يعود على الذين حـرقوا المؤمـنين لا على المؤمنين.. وهم الذين حفروا فى الأرض أخاديد كالأنهار العريضة فى عظمتها وملأوها نيراناً تستعر.

(١) انظر: تفسير القرطبى / ج ١٩ / ص ٢٨٤.

والمراد بـ « قُتل أصحـاب الأخدود» أى لعنة الله الأبدية تلاحـقهم - الظالمون والقتل هنا كناية ومجاز عن اللعنة وغضب الله.

وقـيل: قال الله عنهم «قُتل أصـحاب الأخـدود» لأنهم قُتلوا بالفـعل من أثر النيـران التى أشعلوها لحـرق المؤمنين حـيث خرجت شـعلة من نيران الأخـاديد وأحرقتهم بأمر الله، وربما قُتلوا بعد فعلتهم هذه بطريقة أخرى.

ويستـشهد بهـذا الرأى القائلون بأن أصحـاب الأخدود هم يوسف ذو النواس وأتباعـه الطغاة حـيث قتلوا بعـد حرقهـم لنصارى نجران من حـربهم مع الروم الأحباش.

والذى يهـمنا هو أن هؤلاء الظالمين لم يفلتـوا من عـذاب الله سواء كـان فى الدنيا أم فـى الآخرة، وإن أمهلهم الله فى الدنـيا لبضع أيام أو حـتى بضع سنين فلن يفلتوا من عذاب الله هو الحق والعدل ويمُهل الـظالم ولا يُهمله.

٥ - ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾:

قيـل: كانت نيـران تلك الأخاديد التى صنعـوها فى الأرض مشـتعلة تلتـهم الضحايا بسرعة.

وكم هى ب فظيعة جـرائم الطغاة وكيف يتوسلون بأبشع الأسـاليب فى سبيل بقـائهم عدة أيام آخـر.فى سره الحكم؟ أفـلا يسـتحق مـثل هؤلاء نيران جـهنم المتقدة؟.

وذلك لأن منظر الإنسان البرئ الوادع وهو يحترق بالنار ويجأر للمساعدة دون أن يستجيب له أحد، وقد يكون شيخاً كبيراً، أو شاباً يافعاً، أو امرأة ضعيفة، أو طفلة صغـيرة ما أقسى قلوب هؤلاء الطغـاة وأتباعهم وهم يتحلقـون حول النار ينظرون إلى المؤمنين يُلقون فى النار فيحترقون!

حقـاً: إن الكفر يمسخ صاحـبه والطغيـان يحوله إلى مـا هو أسوء من وحش كاسر.

٦ - ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾:

ولم يكتفوا بحرقهم بل دعوا الجماهيـر الظالمة أيضاً إلى حفلة إعدام جماعية، ليشـهدوا عـذاب المؤمنين، وليكون عذابهم عـبرة لمن بعدهم لكـى لا يفكر أحد بمخالفة دين الكفر والجبروت.

٧ - ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾:

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾.

إذاً يصف القرآن أصحاب الأخدود - الذين أُحـرقوا - بأنهم ضحايا وشهداء وأصبغ عليهم صـبغة إيمانية فهم مـؤمنون بقضية، ولكن ما هذه القـضية التى أُحرقوا من أجلها؟ إنها قضية الإيمان والوحدانية بالله تعالى.

إذاً من هم أصحاب الأخـدود؟ حسب معطيات القـرآن وفى أى وقت كانوا؟ وفى أى بقعة كانوا؟ وهل هم نصارى نجـران كما يُقال عنهم - الرأى الشائع -؟ وهل نصارى نجران كانوا مؤمنين؟

أولاً: ختلف المفسرون فى ذلك اخـتلافاً كبيراً وتفسيرهم يبـعد كل البعد مع معطيات القرآن . . وبيان ذلك.

١ - قال مقاتل: إن أصحاب الأخدود ثلاثة: واحد بنجران، والآخر بالشام، والثالث بفارس. . أما بالشام أنطباخـوس الرومى، وأما الذى بفارس فبختنصر، والذى بأرض العرب يوسف ذو النواس[1].

---

(١) تفسيـر القرطبى / ج ١٩ ص ٢٩١ وقتادة برأيـه هذا لم يحدد أيهم الذى عنى القرآن بل ذكر مـا يعلمه من حرق أناس عبر التاريخ وابتعد عن الصفات التى أعطاها القرآن لهؤلاء الضحايا.

وقد أوضحنا هؤلاء الثلاثة تفصيلاً - الذين ذكرهم قتادة - فى فصل -الذين أحرقوا عبر التاريخ - من هذا الكتاب.

٢ - وذهب البعض الآخر إلى أن الذين أُحرقوا فى الأخدود، والذين عناهم القرآن كانوا بالحبشة [١] حيث بعث الله إليهم نبياً فآمنت به طائفة فأخذوا وإياهم وألقوهم فى النار واستدلوا فى ذلك به بحديث روى فى صحيح مسلم وقد ذكرت هذا الحديث من قبل من أحد الفصول السابقة، ولكن نص الحديث لا يدل على أن الحادثة وقعت فى الحبشة.

٣ - وروى سعيد بن جبير قال: لما انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب: ما هم يهود ولا نصارى ، ولا لهم كتاب وكانوا مجوساً، فقال على بن أبى طالب: بلى، قد كان لهم كتاب رفع، وذلك أن ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته - أو قال: على أخته - فلما أفاق قال لهم: كيف المخرج مما وقعت فيه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك وتخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخد لهم إخدوداً فى الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قول ذلك قذفه فى النار ومن أجاب خلى سبيله[٢].

٤ - وروى عن الإمام الباقر - قال: أرسل على بن أبى طالب إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الإخدود فأخبره بشئ فقال على: ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم: إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً وهم حبشية، فكذبوه فقاتلهم أصحابه، وأسروه وأسروا أصحابه، ثم بنوا له جسراً، ثم ملؤوه ناراً، ثم جمعوا الناس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان عل دين

(١) تفسير الميزان / ج ٢٠ / ص ٢٥٦ نقلاً عن الإمام على عليه السلام.
(٢) انظر نور الثقلين ج ٥ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦.

هؤلاء فليرم نفسه بالنار فجعل أصحابه يتهافتون فى النار، فجات امرأة معها صبى لها ابن شهر فلما هجمت هابت ورقت على ابنها فنادى الصبى: لا تهابى وارمينى ونفسك فى النار، فإن هذا والله فى الله قليل، فرمت بنفسها فى النار وصبيها، وهذا الصبى كان ممن تكلم فى المهد[1].

٥ - وجاء في حديث مأثور عن الإمام قال: كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عما هم عليه شئ مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم» وهكذا يفعل الإيمان بالمؤمن فيجعله أقوى من كلفه أنواع العذاب، أثبت من الراسيات، أسمى من القمم السامقة، أشد صلابة من كل ما يبتدعه الطغاة وما يفعلونه بهم من وسائل الأذى والتعذيب والقتل بكافة أنواعه.

وقد يُسئل: ما الذى جعل هذا الإنسان الذى لا يكاد يتحمل أذى بقه يقتحم النيران المتقدة بجسده النض ليحترق أمام أعين الناقمين والشامتين، دون أن يتنازل عن إيمانه؟

نقول: «تأملات حول القصة».

أولاً: إن وضوح الرؤية عندهم كان قد بلغ حداً كانوا يعيشون ببصائر قلوبهم وهو ما يُسمى بالبصيرة، وكانوا يعيشون وكأنهم بالجنة ونعيمها فيتسلون بها عن شهوات الدنيا؟ ويعيشون (بقوى قلوبهم) النار وعذابها فتهون عليهم مصائب الدنيا ومشاكلها، وعندما نقرأ قصة الأم التى ترددت قليلاً باقتحام النار مع رضيعها فقال لها ابنها: يا أماه إنى أرى أمامك نار لا تطفأ (يعنى نار جهنم) هى أشد من نار الدنيا هذه فقذفا جميعاً أنفسهما فى النار.

---

(١) انظر: نور الثقلين ج ٥ / ص ٥٤٦ - ٥٤٧.

ثانياً: عندما يـقرر الإنسان شيئـاً يسهل عليه القيام به، وبالـذات حينما يكون الأمر فى سبيل الله يهونه الرب له، ويثبت عليـه قدمه، ويمده بالصبر على آلامه وتبعاته، ويقـوى إيمانه ويشحذ بصيرته ليرى بهـا أجره فى الآخرة. وهكذا ترى عباد الله الصالحين يقـاومون عبر التاريخ مختلف الضـغوط ويتحملون ألواناً من الأذى بقلب راضٍ، وإن المؤمنين الذين احـترقـوا فى الأخدود هم سـواء مع أى مؤمن يعـتقل فى سجـون الطغاة أو يعـذب أو يقتل أو يتحـمل مشاكل الهـجرة والجهاد ومـصائبهـما وكما خلد الله أمـجاد أولئك الصديقين فإنه لا يضـيع أجر هؤلاء التابعـين لهم، وكما أن الله قـتل أصحاب الأخـدود ونصر رسـالاته فإنه يهلك الجبارين اليوم ويستخلفهم بقوم آخرين.

وعند هيـجـان الصراع وثـورة الدعاية ضـد المؤمنين، لا يعـرف الناس مـاذا يفـعلون؟ وأى جـريمة يرتكبـون؟ ولكن عندمـا يرجـعون إلى أنـفسـهم بعـدئذ يتسائلون: لماذا قـتلوا المؤمنين، ولماذا نقموا منهم، يعرفـون أنهم كانوا فى ضلال بعيد.

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ فلا أفسدوا فى الأرض ولا اعتدوا على أحـد، ولا طالبوا بغير حق، وإنما استعـادوا حريتهم، وآمنوا بربهم العزيز الحمـيد الذى لا يقهر ولا يجور ولا يبخل، ويعطى جـزاء العباد ويزيدهم من فضله.

أيهما الحق التمرد على سلطان السـماوات والأرض والدخول فى عبودية بشر لا يملكون دفع الضـر عنهم، أم التحرر من كل قـيد والدخـول فى حصن الملك المقتدر القاهر؟

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ .

والبرغم من أن الله منح الطغاة فرصة الاختيار ضمن مهلة محدودة إلا أنه شاهد على ما يعملون ، ولا يغيب عنه شئ فى السماوات والأرض.

﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وشهادة الله ليست للتاريخ فقط، وإنما للجزاء العادل فإنه يسوق الطغاة إلى جهنم ذات النار الحارقة والعذاب الشديد .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وهذه حكمة الله فى إعطاء الطغاة فرصة الامتحان، لأنهم بعملهم هذا فتنوا المؤمنين واختبروا إرادتهم حتى ظهر للناس قيمة الإيمان ومعناه، وكيف أنه فوق الماديات وإن دعوة الرسول واتباعه ليست من أجل مال أو سلطان، ثم إنهم فتنوا المؤمنين فخلص إيمانهم من رواسب الشرك وخلصت نفوسهم من بقايا الجهل والغفلة، وخلصت صفوفهم من العناصر الضعيفة كما يخلص الذهب حينما يفتن فى النار من كل الرواسب تلك كانت حكمة الرب فى إعطاء الجبرين فرصة ارتكاب تلك المجازر البشعة بحق الدعاة إلى الله ولعل بعضهم عادوا إلى الله وتابوا من فعلتهم ولذلك اشار ربنا بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ وفرق كبير بين عذاب جهنم الأشد والأبقى وبين عذاب الأخدود الذى يمر كلمح البصر، ثم ينتهى المعذبون إلى روح وريحان.

أما أولئك المعذبون فإن الجنات تنتظرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ سواء دخلوا التحديات الكبيرة كأصحاب الأخدود أم كانوا من التابعين لهم، وأى فوز أعظم لهم من انتهاء محنتهم وفتنتهم، وبلوغ كامل أهدفهم وتطلعاتهم؟!

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

قالوا: إن هذه الجملـه جواب للقسم فى فاتحة السـورة ولعل قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ أيضاً جواب للقسم فـيكون القسم إطاراً لكل الحقائق التى تذكر فـى هذه السورة ومن هذه الآية يظهـر أن الله قد أخـذ أصحـاب الأخدود أخذا أليما كما أخذ سائر الطغاة.

وكـيف لا يكون شديداً ابـطش جبـار السـماوات والأرض الذى يبـدئ خلق الإنسان ويعيده بعد الفناء.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

وإنما لا يأخذ أهل الأرض بما كسبوا عاجلاً، ويعفو عن كثير من سيئاتهم لأنه يستر ذنوبهم ويحبهم.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.

ومودة للمؤمنين عفواً لذنوب عباده إنما هو لعزته وقوته .

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾.

وسواء قـرأناه بالضم ليكون صفة للرب أو بالكسـر ليكون صفة للعـرش فإنه واحد إذ عـرشه هيـمنته وسلطانه، وهـو اسم من أسمـائه الحسنى، وصـفة من صـفاته الكريمة وكـيف لا يكون سلطانه عظيـماً من يفـعل ما يري دونه ممارسـة لغوب ولا علاج؟

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وإراده الله صفـة قدرته المطلقة. وهذه الآية تدل عـلى أنه لا شئ يحد إراته، فليست إرادته قديمة كما زعمت فلاسفة اليونان. وتسربت تلك الفكرة إلى اليهود فقالوا: ﴿يد الله مغلوله﴾ سبحان الله كيف يكون القادر أولاً عاجز آخراً؟! وهل يوصف الرب تعالى بالأول والآخر فيكون متغيراً؟!

وانعكاس هذه الصفة علينا - نحن البشر - إلا يدعونا استمرر نعم الله وعادته الكريمه علينا إلى الغرور به والتمادى فى الذنوب دون خشية عقابه؟

فهؤلاء جنود إبليس اجتمعوا ليبطشوا بالمؤمنين فأين انتهى بهم المقام.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾

يسوقهما القرآن سوقـاً واحداً بالرغم من اختلاف أكثر الظروف ذلك لأنه سنة الله واحدة فيهما كما فى غيرهما.

قد يبنى البشر بنياناً متكاملاً من الكذب ويخشى نفسه فيه فتراه يبحث لإنكاره لوجود ربه أو لقـدرته أو لسنته فى الجزاء عن فلسـفة ذات أبعاد لعله يقنع نفسـه والآخرين بها.

ويسمـيها جـدلاً فلسفة الإلحـاد أو فلسفة الماديات. وقـد يتجاوز كل حـقائق ويسمـيها زوراً بالفلسـفه العلميـة. ثم يجعل أمام كـل حق باطلاً ولكل صواب بديلاً من الخطأ ثم يحكم - فى زعـمه - نسج هذه الاباطيل ببعضـها ويسميـها نظرية أو مبدأ وإن هى إلاسلسلة من الأكاذيب.

ومثل هذا الإنسان لا يسهل عليه الخروج من شرنقة الكذب التى نسجها حول نفسه ولذلك يتـحصن ضد كل العبـر والمواعظ حتى ولو كنت فى مستـوى عبرة العذاب الذى استأصل شأفة فرعون وثمود.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾.

لأنهم كفـروا بأعظم وأوضح الحقائق - بالله العظيم ورسالاته- ودخـلوا فما نفق التكذيب فلم يخرجوا منه للاعتبار بمصيـر فرعون الذي اشتهر قصة بين أهل الكتاب أو بمصير ثمود الذين عرفت العرب أمرهم.

وهل ينفعهم التكذيب شيئاً؟ هل يمنعـهم جزاء أعمالهم أو يخدع من يجازيهم فـينصرف عنهم؟ كـلا . . لماذا؟ لأن الإنسان يـواجه ربه والله مـحيط بهم علمـاً وقدرة.

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾.

قالوا: وراء الشئ الجهـات المحيطة به الخارجة عنه فيكون مـفهوم الآية أن الله محيط بكل بعد من أبعاد حياتهم وهذا يتقابل مع كونهم فى تكذيب.

ولكن أينتظرون ما يذكرهم ويخرجهم من نفق التكذيب أعظم من هذا الكتاب العظـيم؟

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾.

عظيم المستوى، رفيع المجد، لا تناله أيدى التحريف ولا يبلغ مستواه التافهون الحقراء الذين يعيـشون فى حضيض الشهوات، ولا يمس جـواهر حقائقه ولآلىء معانيه سـوى المطهرين من دنس الشرك، ومن رجس العقد النفـسية، ومن ظلام الأفكار الباطلة لابد أن تـرتفع إلى قمة المجـد حتى تدرك بعض معـانى الكتاب العظيم، ومن علامات مـجده وعظمته أنه محـفوظ فـي لوح عن الله لا يستطيع أحد المساس به «فى لوح محفوظ».

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وجاء فى الدر المنـثور عن ابن عبـاس قال: قـال رسول الله ﷺ :« خلق الله لوحاً من درة بيضاً دفتاه من زبرجـدة خضراء، كتابه من نور، يلحظ إليه فى كل يوم ثلاث مائة وستين لحظة يحـيى ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز ويزل، ويفعل ويشاء»[١].

---

(١) نظر تفسير الميزان.

وهذا الحديث تفسير قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ أما اللوح المحفوظ المذكور في هذه الآية فلعله إشارة إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ حيث ربنا يحفظ اللوح من أن يرسم فيه غيره[1].

٨ - «أصحاب الأخدود بين القرآن والسنة»:

بعد أن تناولنا تفسير سورة البروج كما فسرها الكثير من علمائنا الأفاضل، بقي لنا أن نبين هل من صلة بين أصحاب الأخدود الذين ذكرهم القرآن في سورة البروج، وبين ما قاله الرسول ﷺ في رواية مسلم؟أم أن الرسول يتناول قصة أخرى أُحرق فيها مؤمنون بالله كما ذكر القرآن قصة أخرى؟

أولاً: نص الحديث.. روى مسلم في صحيحه عن هدية بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال: إني قد حضر أجلي فادفع إليّ غلاماً أعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً وكان يختلف إليه، وبين الساحر والملك راهب، فمر إليه غلاماً وكان يختلف إليه، وبين الساحر والملك راهب فمر الغلام بالراهب فأعجبه كلامه وأمره، فكان يطيل عنده القعود، فإذا أبطأ عن الساحر ضربه، وإذا أبطأ أهله ضربوه: فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: يابني إذا استبطأك الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا استبطأك أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد غشيتهم دابة عظيمة، فقال: اليوم ألم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة، فرمى فقتلها ومضى

(١) انظر نقلاً عن موقع.
W.W W . almodarresi . Com/ edayat / 2 / a2 oj 4 p.

الناس، فأخبر ذلك الراهب فقال: يابنى إنك ستبتلى فإذا ابتليت فلا تدل علىّ، قال: وجعل يراوى الناس فيبرىء الأكمه والأبرص، فبينما هو كذلك إذ عمى جليس للملك فأتاه وحمل إليه مالاً كثيرً، فقل اشفنى ولك ما هاهنا، فقال: أنا لا أشفى أحداً ولكن الله يشفى، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، قال: فآمن فدعا الله فشفاه، فذهب فجلس إلى الملك فقال: يافلان من شفاك، فقال: ربى.

قال إنا، قال: لا، ربى وربك الله، قال أو إن لك رباً غيرى، قال: نعم ربى وربك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث إلى الغلام فقال: لقد بلغ من أمرك أن تشفى الأكمه والأبرص، قال: ما أشفى أحداً ولكن الله يشفى، قال: أو إن لك رباً غيرى.

قال: نعم ربى وربك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الراهب، فوضع المنشار عليه فنشر حتى وقع شقتين، فقال للغلام، ارجع عن دينك فأبى.

فأرسل معه نفراً قال: اصعدوا به جبل كذا وكذا فإن رجع عن دينه وإلا فألقوه منه، قال: فعلوا به الجبل فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون، وجاء إلى الملك فقال: ما صنع أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فأرسل به مرة أخرى قال: انطلقوا به فلججوه فى البحر، فإن رجع وإلا فأغرقوه، فانطلقوا فى قرقور فلما توسطوا به البحر قال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، وجاء حتى قام بين يدى الملك فقال: ما صنع أصحابك، قال: كفانيهم الله، ثم قال: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، اجمع الناس ثم أصلبنى على جزع ثم خذ سهماً من كنانتى ثم ضعه على كبد القوس، ثم قل: باسم رب الغلام فإنك ستقتلنى، قال: فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهمً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال: باسم رب الغلام

ورمى فوقع السهم فى صدغه - مـا بين العين والأذن - ومات فقال: الناس آمنا برب الغلام، فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل ولله بك من الناس.

فأمر بأخدود فخددت على القرقور - السفينة - أفواه السكك ثم أضرمها ناراً فقال : من رجع عن دينه فدعوه، ومن أبى فاقحموه فـيها، فجعلوا يقتحمونها، وجاءت مرأه بابن لها فقال لها :أماه اصبرى فإنك على الحق.

هذا هو نص الحديث، ويتشابه مع ماذكره القرآن فى سورة البروج من حيث:

١ - أن الملك الظالم وأعوانه الذين أحرقوا المؤمنين لا يؤمنون بالله قط.

٢ - سبب حـرق المؤمنين فى كل من الحديث وسورة البـروج هو أنهم كانوا يدعون إلى الله وحسب.

٣ - ثبت المؤمنون على الحق ولم يهابوا النار المتقدة.

٩ - «هل نصارى نجران هم الذين ذكرهم القرآن؟»:

الرأى الشـائع بين كثـير من المفـسريـن هو أن الذين عناهم القرآن فى سـورة البـروج والذين أُحرقـوا هم نصارى نجـران، وقـد أوضحت ذلك تفـصيـلاً فى الفصول السابقة فهل هذا القول حق، أم خلاف ذلك؟

وعلى كل الأحول فإذا كـان المقصود فى سورة البروج هم نصـارى نجران فلا يتعارض ذلك مع القرآن لأن حرق نصارى نجران حقيقة تاريخية وأوضحت ذلك فيما سبق.

ولكن لكى نـعلم من هم لذين عناهـم القـرآن يجب أن نضع أمـام أعـيننا الصـفات التى ذكـرها الله فى القرآن عـن هؤلاء الضحـايا الذين أُحرقـوا وهذه الصفات هى بمثابة الخيط الذى يصلنا بمن هم هؤلاء الضحايا وهذه الصفات هى:

١ - أنهم مؤمنون إيماناً حقاً ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

٢ - سبب حرق هؤلاء المؤمنين أنهم كانوا يدعون إلى الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

أى أن الطغاة الذين قاموا بتعذيبهم بالنار لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه.

٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

أى أن هذا العذب بالحرق من قبل الطغاة المشركين تجاه المؤمنين كان مازال يحدث فى عصر الإسلام - نزول الآية[1].

٤ - ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أى يتوعد الله الطغاه بالإنتقام من أجل هؤلاء الضحايا المؤمنين.

وكل هذه الصفات لا تنطبق على نصارى نجران بل على غيرهم وذلك لأن:

١ - نصارى نجران كانوا يدعون إلى الدين المسيحى والذى أمر بأحراقهم هو يوسف ذو النواس الملك اليهوى أى سبب الحرق هو دعوتهم للنصرانية لأناس يهود - وملكهم ذو النواس - أى أن الملك الذى أحرقهم - ذو النواس - كان يؤمن بالله وكان يعرفه لأنه كان على الديانة اليهودية وهذا خلاف الآية القرآنية والتى تقرر أن سبب الحرق هو دعوتهم لله أى كانو يدعون أناس مشركين بغير دين سماوى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾.

ويوسف ذو النواس الملك اليهودى كان يؤمن بالله.

٢ - يقول الله﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

أى أن الذين أُحرقوا كانوا مؤمنين بالله حق الإيمان وكانوا يتصفون بالوحدانيه المطلقة لله بدليل أن الله وعدهم - من مات منهم من هذا الحرق - بالجنة ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

---

(١) مع العلم أن سورة البروج مكية أى نزلت بمكة، حيث المكان الذى اضطهد مشركى مكة المسلمون الأوائل بشتى الأنواع ومنها الحرب.

ونصارى نجران كانوا على مذهب ملك الروم - أى المذهب الكاثوليكى حالياً - أى كانوا يؤمنون بأن الله ثلاثة أقانيم وإن تظاهروا بالوحدانية ولكن مضمون عقائدهم تقسيم وتجزئة الله إلى ثلاثة وهم «الأب والأبن والروح القدس» وكان معهم كتاب مقدس محرف، وكانوا يؤمنون بأن الله تجسد فى صورة إنسان وصُلب من الرومان وقد أنكر الله عليهم هذا الاعتقاد فى أكثر من موضع من القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾.

فهل هؤلاء مؤمنون بالله الإيمان الحق الذى ذكره القرآن عن المؤمنين الذين عذبوا بالحرق.

٣ - والحقيقة فى رأيى أن ما عناهم القرآن فى سورة البروج هم المسلمون الأوائل الذين عذبوا بالحرق من مشركى العرب وخاصة مكة، وذلك لأن القرآن لم يقرن مصطلح «المؤمنون» بأحد إلا للمسلمين.

﴿ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقد ذكرت أمثلة كثيرة فى الفصول السابقة على حرق بعض الصحابيات المؤمنات ممن أحرقوا وتعرضوا للحرق من قبل مشركى مكة ومن يريد المزيد فليرجع إلى كتب السيرة كسيرة ابن هشام، ابن إسحاق الرحيق المختوم وغيرهما الكثير. ليرى أمثلة كثيرة على حرق بعض المسلمين الأوائل الضعفاء.

ومن الذين تعرضوا للحرق من قبل مشركى مكة لم يمت من النار ومنهم من مات ومنهم من أصابه العاهات كفقدان البصر والتشويه، والقرآن فى سورة

البروج يتفق مع كل هذه الأمثلة لأن القـرآن ذكر أن المؤمنين تعرضوا للحرق ولم يذكر أن جـميـعهم مـات علاوة على أن سـورة البروج سورة مكيـة أى نزلت بمكة، حيث المكان الذى تعـرض المسلمون الضعفـاء فيه لأشد أنواع العـذاب مثل الحرف.

وأخيراً أقول:

من يتأمل سورة البـروج يتضح له أن السورة الكريمة لم تشر إلـى قوم بعينهم أحُرقوا، ولكن شـملت كل من أُحرق من أجل قضـية أى تعرض لهـذه الوسيلة البـشعـة - الحـرق - بدون حق عبـر التـاريخ إلى أن حـدث ذلك مع المسلمين الضـعفـاء وهم - المسلمون - هم الذين وعـدهم الله بالجنة من مـات منهم من العذاب من أجل إيمانهم.

الخاتمة

وبعد أن انتهينا من هذا البحث المختصر عن قصتى أصحاب الأخدود وأصحاب الفيل.

وأوضحنا من هم أصحاب الأخدود الذين حُرقوا وهل هم أهل نجران؟ أم قوم غيرهم؟

أرجو أن يكون قد أصاب قلمى وحسُنَ اجتهادى وأن لا أكون قد أسئت لأحد وقد اعتمدنا فى الجانب الأكبر من هذا البحث على الجانب التاريخى لأنه هو المرجع المتفق عليه والمقياس الحقيقى وأثبتنا أنه لا يُعارض القرآن بل يؤيده تماماً وقد عرضنا بعض الاعتراضات والاشكالات Problem التى يتوهمها بعض الناس فى ذكر القرآن لقصة أصحاب الفيل مُحاولاً أن ينكر القصة من الناحية التاريخية،

وأن العرب قد أخطئوا فى تأريخهم للحوادث،

وقد فندنا إدعاء أن هناك فرقاً بين مولد الرسول ﷺ وبين محاولة غزو إبرهة الأشرم للكعبة.

بل يرى بعض المؤمنين أن إبرهة لم يكن قصده الكعبة مطلقاً بل كان قصده التخوم الفارسية.

وقد فندنا هذا الاعتبار أيضاً.

وفى الفصل الأول تناولنا قسطاً من علوم القرآن بقدر ما يتناسب مع موضوع هذا البحث.

فقد تناولنا فى هذا البحث قصة أصحاب الفيل وتمثيل الله لهم بأوراق الشجر التى تناثرت وشبه الطيور التى أرسلها على أبرهة وجيشه بالجيوش المنظمة المتابعة، وقسم الله بالسماء وبيوم القيامة.

وضرب الله لأمثلة القـرون الأولى ومن أتبع هواه وأخلد فى الأرض مثله الله بالكلب عندما يلهث.

فكان من الضرورى أن نشرح ما معنى المثل فى القرآن بصفة عامة؟

وما الغرض منه؟ وما هى حكمته؟

وكذلك القَسم ما الغرض منه؟ وهل يليق بجلال الله أن يُقسم؟

وفى الجزء القادم بإذن الله ستتناول أيضاً مثل هذا الأسلوب حيث الاكتشافات الأثرية، رأى التاريخ، مناقشة الاعتراضـات والرد عليها، دراسة قسط من علوم القرآن، نزع الإسرائيـليات والخرافات من كتب التـفسير مثـل ما وجد فى بعض الكتب أن الفيلة التى كانت مع إبرهة كان اسمها - محمود -

فكيف ذلك واسم «محمود وأحـمد ومحمد» لم تُعرف قط إلاّ منذ تسمـيتها للرسول محمد ﷺ.

ومن الواضح أن ذلك من المدسوس على المفسرين الذين لا يفـهمون شيئاً ولا يُمحصون فيما يكتبون والغرض من هذا هو التحقير والإهانة إلى الرسول الكريم محمد ﷺ.

وفى الختام أرجو أن يهـدينى الله خير الطريق فى البحث عن الحقـيقة وحسن الرشاد وأن يجعله فى ميزان حسناتى وحسنات من ساهم فى هذا العمل.

أحمد ربيع عبد المنعم

للتواصل مع المؤلف ahmed - ahmed83157

انتهى فى ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٧

المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخارى.

٣ - صحيح مسلم.

٤ - سيرة ابن هشام.

٥ - الرحيق المختوم لـ/ صفى الرحمن المباركفورى.

٦ - اليمن عبر التاريخ.

٧ - تاريخ العرب القديم.

٨ - البداية والنهاية لابن كثير الإمام.

٩ - تفسير الإمام ابن كثير.

١٠ - تلقيح فهوم أهل الأثر.

١١ - تاريخ المسيحية ومذاهبها لـ/ محمد المقدسى.

١٢ - قصص الأنبياء للإمام ابن كثير.

١٣ - قصص القرآن لـ/ د/ محمد بكر إسماعيل.

١٤ - من يقدر على تحريف كلام الله لـ/ د/ داود رياض.

١٥ - مباحث فى علوم القرآن.

١٦ - التفسير الميسر للإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى.

المراجع على الإنترنت

1 - http://abeer mahmoud. Jeeran.com page/ 2/ 192.

2 -http/w.w.w.m52.com/ uploads.

3 - http//w.w.w.islamweb.net/ver2/archivs.

4 - http//w.w.w.lamalef.net/ak/02/fil.htm.

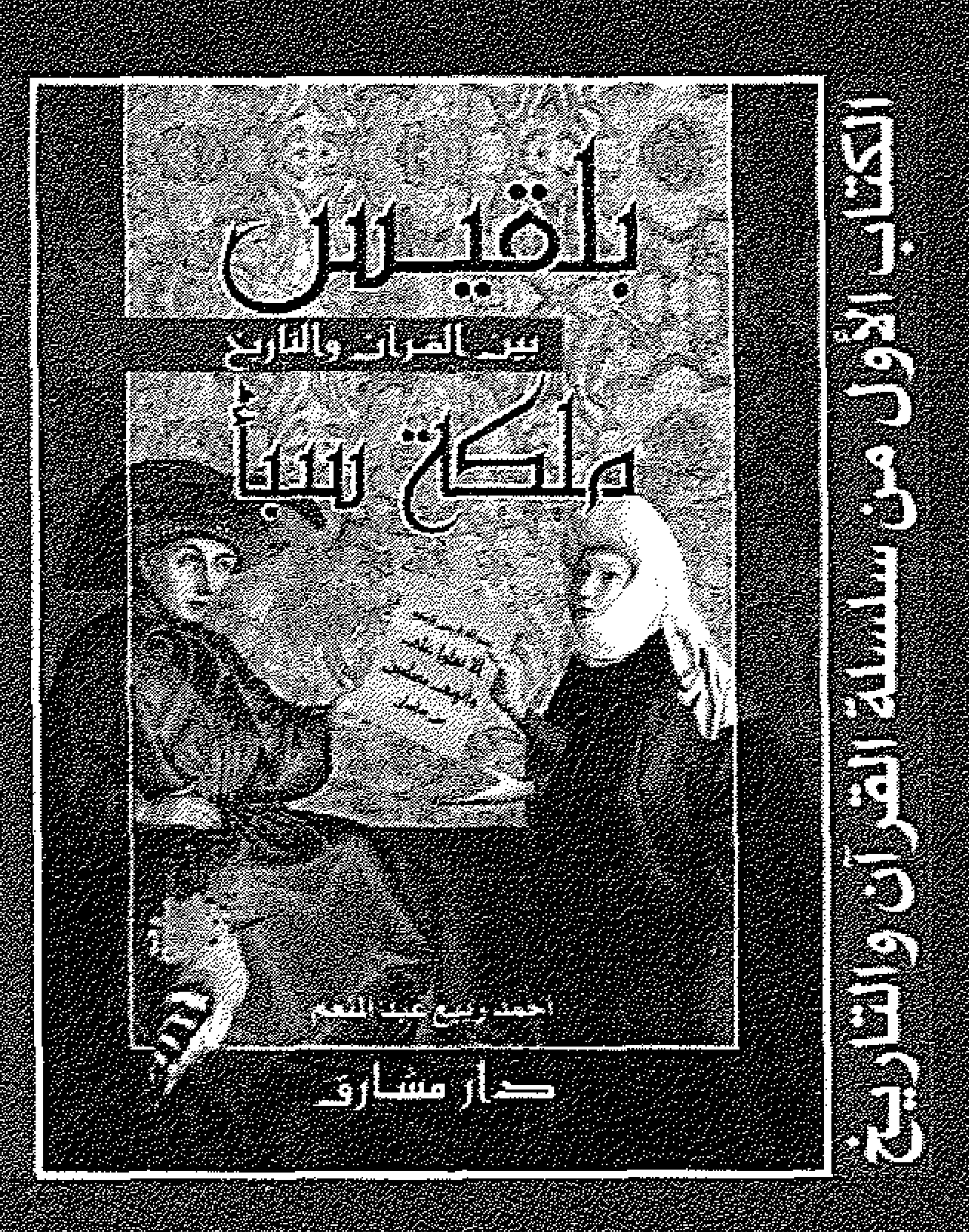
5 - http//w.w.w.wawa 1.com/vb/archive.

6 - http//w.w.w.wikalah.net/news/506/6 - najran.htm.

الفهرس

الموضوع | صفحة

الكتاب الأول من سلسلة القرآن والتاريخ



أصحاب الفيل

■ هذا الكتاب الثانى من سلسلة القرآن والتاريخ ويتناول بالشرح والتحليل قصة أصحاب الفيل وسنقوم بربط القصة من الناحية التاريخية والآيات القرآنية ومتى كانت؟ وهل وافقت مولد الرسول الكريم ﷺ؟

■ وقصة أصحاب الإخدود والذين ذكروا فى سورة البروج ومن هم؟ وفى أى عصر كانوا؟ وماذا حدث لهم؟

دار مشارق